

# السبيل إلى محرفة الله وعظمته خلقه

زمزم منصور القحطان



السبيل إلى  
معرفة الله وعظمته خلقه

زمزم منصور القحطان



موقع الأوحد  
Awhad.com

٢٠١٦ - ١٤٣٧ م

حقوق الطبع محفوظة

م ١٤٣٧ - هـ ١٦٢٠

«إِلَهِي كُنْ أَنْتَ الْمُعْلِمُ لَنَا كَيْ نَعْلَمُ  
وَنَرَى أَنَّ الْقُدْرَةَ هِيَ قُدْرَتُكَ... الْعَزَّةُ  
وَالْعِلْمُ لَكَ، وَكُلُّ شَيْءٍ عَنْكَ كُلُّ وَاحِدٍ  
مِنَ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ عِطَايَاتِكَ»



قال النبي ﷺ :  
«أول العلم معرفة الجبار، وآخر العلم  
تفويض الأمر إليه».

وقول الإمام الصادق ع: «لَوْ عِلِّمَ النَّاسُ مَا فِي فَضْلِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ مَا  
مَدَّوا أَعْيُنَهُمْ إِلَى مَا مَتَّعْ بِهِ الْأَعْدَاءُ مِنْ  
زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَكَانَتْ دُنْيَا هُمْ أَقْلَى  
عِنْدَهُمْ مِمَّا يَطْأُونَهُ بِأَرْجُلِهِمْ، وَتَنْعَمُوا  
بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَتَلَذَّذُوا بِهَا تَلَذَّذُ مَنْ لَمْ يَرِزُّ  
فِي رُوْضَاتِ الْجَنَانِ مَعَ أُولَئِكَ اللَّهُ...».



## الآهاداء

- إلى أم أبيها الحوراء الإنسية.
- إلى أم الأئمة الأبرار وأم المؤمنين الأخيار.
- إلى من كانت حقيقتها هي حقيقة ليلة القدر والكون وما فيه.
- إلى من يرضي الله برضاهَا ويغضب لغضبها،
- إلى من قال في حقها رسول الله ﷺ هي روحى التي بين جنبي.
- إلى سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين.
- إلى سيدتي ومولاتي فاطمة الزهراء بنت محمد (صلوات الله عليهما).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله على آلئه وله الشكر على نعمائه وأفضل صلواته وتحياته على محمد وآل محمد حَلَىٰ لِفَعْلِيٰ رَبُّ الْعَالَمِ الطيبين الطاهرين واللعنة على أعدائهم من الآن إلى يوم الدين.

معرفة الله: هي المبدأ للدين الإلهي والبداية لدعوة الأنبياء وأول برامج الأديان الإلهية وهو أشرف العلوم لدى الإنسان، لأن معرفة الخالق عز وجل وصفاته وأفعاله أمر يوجبه العقل والنقل معاً، الله سبحانه وتعالى حينما أحب أن يُعرف، خلق الخلق لكي يُعرف - وهو في غنىً عن خلقهم - فالعلة من خلق الخلق<sup>(١)</sup> هي ما أشار إليه في كتابه العزيز: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةَ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) علة خلق الخلق: عندما سُئل الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: لم يخلق الله الخلق؟ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقه عَبْثاً ولم يتركهم سدى بل خلقهم لإظهار قدرته وليكلفهم طاعته فيستوجبوا بذلك رضوانه وما خلقهم ليجلب منهم منفعة ولا ليدفع بهم مضره بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم إلى نعيم الأبد. وعن صاحب الزمان صلوات الله عليه أن الله تعالى «لم يخلق الخلق عَبْثاً ولا أهملهم سدى بل خلقهم بقدرته وجعل لهم أسماعاً وأبصاراً وقلوباً وألباباً ثم بعث إلىه النبيين» كشكول الإحسائي: ج. ٢.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

فالعبادة هي غاية الخلقة والتقويم وهي طريق التقرب إلى الله تعالى، ولا تقرب إلا بمعونة سابقة له عز وجل لذا كان «أول الدين معرفته» كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: فمن لا يعرف لا يمكن له العبادة، فمن هنا نعلم أن الخلق كلهم مكلفوون بالعبادة لله وحده ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَيِّرُ بِهِ مُهَمَّدٌ﴾ .  
 ولَكِنَّ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

إذن الله تعالى ما خلق إلا لعبادته المترتبة على معرفته وليس المقصود هنا معرفة الذات (الطريق مسدود والطلب مردود) فمعرفة ذات الله سبحانه محال عقلاً ونقلأً قوله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾<sup>(٢)</sup> لأنه لا تدركه الأ بصار وهو يدرك الأ بصار، قول أبي عبد الله عليه السلام: «إياكم والتفكير في الله لا يزيد إلا فيها، إن الله عزوجل لا تدركه الأ بصار ولا يوصف بمقدار»، وعندما جاء حبر إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته؟ قال عليه السلام: وبذلك ما كنت أعبد ربأ لم أره، قال:

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

(٢) سورة طه: الآية ١١٠.

كيف رأيته؟ قال عليه السلام: وبذلك، لا تدركه العيون في مشاهدة الأ بصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان<sup>(١)</sup>.

كما قال الإمام زين العابدين عليه السلام في مناجاة العارفين:  
«ولم يجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك، إلا بالعجز عن معرفتك».

أما من ادعى أنه عرف الكنه لم يعبد الله لأنه يعبد من ادعى معرفته وهو في الحقيقة ليس هو المعبود لأن المعبود لا يُعرف بالكنه والذي عرفه ليس هو المعبود تعالى، وإذا ادعى معرفته بالكنه لم يقصد غير ما عرف بخلاف من لم يدع معرفة الكنه وإنما يعرف آيته سبحانه فإنه يعبد من تدل عليه الآية التي عرفها فقد عبد الله تعالى

فالطريق الوحيد لمعرفته سبحانه هو طريق آثاره والآيات المخلوقة من الآفاق والأنفس، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «دليله آياته وجوده إثباته»، فالآيات والآثار المطروحة على مسرح الكون كلها تجليات وتعريفات الحق سبحانه بنفسها لا بذاته، قال تعالى «سَرِّيْهُمْ ءَائِتِنَا فِ

(١) أصول الكافي: ج ١، ص ١١٩.

أَلَا فَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبْيَنَ لَهُمْ أَنَّهُ أَحَقُّ<sup>(١)</sup> لم يقل  
 (ذاتنا) بل (آياتنا) فالله هو المتجلي والمعرف، لكن عن  
 طريق آياته وأشاره تعالى<sup>(٢)</sup>، ولكن هذه المعرفة المستوحاة  
 من الآيات الكونية والأنفسية لا تعد معرفة حقيقية كاملة.  
 فوجب على الله تعالى في الحكمة أن يجعل من خلقه  
 مثلاً ودليلاً يدل عليه بحيث يكون هذا المثال ليس كمثله  
 شيء حتى يمثله ويحكيه بأنه ليس كمثله شيء، وليس في  
 الوجود شيء ليس كمثله شيء عدا معرفة النفس الناطقة  
 التي من عرفها فقد عرف الرب قول أمير البلاغة علي  
 بن أبي طالب عليهما السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربه».  
 والمراد من معرفة الرب هو معرفة المثال المُلْقى في هوية  
 العبد الذي هو مثال مخلوق لكنه أعلى مراتب المعرفة  
 والكمال، وأفضل الخلق وأشرفه وأقربه إلى الحق تعالى.  
 ولن نجد في جميع الموجودات خلقاً أشرف وأفضل وأجمل  
 من محمد وآل محمد عليهم السلام.

(١) سورة فصلت: الآية ٥٣.

(٢) مثل الشاخص والمرأة بالنسبة للتوحيد ما هو إلا للتقرير والتفهم والأدلة فالله ليس كمثله شيء.

إذن أفضل الطرق لمعرفة الله هو معرفة أهل العصمة  
عليهم السلام لأن معرفتهم عين معرفة الله سبحانه  
وتعالى ولأنهم آية التوحيد الكبرى، والعجز عن معرفة  
الآية المخلوقة دليل على استحالة معرفة القديم.

فبعون الله سبحانه وتعالى سوف نتطرق في هذا  
البحث حول إثبات الخالق والتوحيد ومراتبه مع شرح  
مقامات أهل العصمة عليهم السلام راجية من المولى  
القدير القبول والحمد لله رب العالمين.

زمزم القطن



## معرفة الله واجبة بحكم العقل

المقصود الأول من أصل خلق الإنسان خصوصاً والعالم عموماً هو تحقيق المعرفة سواء على صعيد الفعل المتمثل بموجودات عالم الإمكان بمراتبه الطولية أو على صعيد الفاعل المنحصر بالله تعالى.

لا شك أن كل فرد عاقل وحكيم حين يقوم بعمل فإنما يهدف من وراء عمله إلى هدف معين، وحيث أن الله أعلم من سواه وأعرفهم بالحكمة، فالسؤال هو لمَ خلق الله الإنسان؟ هل كان عنده نقص فارتفع بخلق الإنسان؟! وهل كان يحتاج أن يخلقنا؟ مع أنها نعلم أن وجوده كامل من كل الجهات وهو غني بالذات.

فالنتيجة الهدف يعود للمخلوقين أنفسهم وأساس كمالهم هذا من جانب ومن جانب آخر ورد في القرآن آيات بتعابير مختلفة في شأن خلق الإنسان والهدف منه، فمثلاً: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِبَلُوغِكُمْ أَيْكُمْ أَحَسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(١)</sup> تبين من أهداف خلق الإنسان هو الامتحان وحسن العمل.

(١) سورة الملك: الآية: ٢.

وقوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهَا  
يَنْزَلُ الْأَمْرَ بِمَا يَشَاءُ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدِ  
أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾<sup>(١)</sup> يبين هنا أن هدف خلق الإنسان  
هو معرفة علم الله وقدرته. ولكن الهدف الأساسي هو  
ال العبودية أما الأهداف الأخرى مثل الامتحان ومعرفة  
العلم وقدرته فهي أهداف ضمن العبودية.

إذن الهدف من خلق الإنسان هي لعبادة الله سبحانه  
ولكن المهم أن نعرف ما هي حقيقة هذه العبادة؟ فهل  
مقصودنا من (العبادة) هو أداء المراسيم أو المناسك  
اليومية مثل الركوع والسجود والصلوة والصوم .. لمعرفة  
هذه لا بد من معرفة كلمة (العبد) و(ال العبودية)؟

(العبد) لغة: هو الإنسان المتعلق بمولاه وصاحبه من  
قرنه إلى قدمه، وإرادته تابعة لإرادة مولاه وما يطلب  
ويبيغ هو تابع لطلب سيده وابتلاءه. أما (ال العبودية) لغة:  
هي إظهار منتهى الخضوع للمعبود، فالمعبود الوحد له  
حق العبادة على الآخرين هو الله سبحانه وتعالى.

إذن العبودية هي قمة التكامل للإنسان واقترابه من

(١) سورة الطلاق: الآية ١٢.

الله، وهي منتهى التسليم لذاته المقدسة، والعبودية هي الطاعة بلا قيد ولا شرط والامتثال للأوامر في جميع المجالات.

وأخيراً فال العبودية الكاملة هي أن لا يفكر الإنسان بغير معبوده الواقعي أي الكمال المطلق فقوله ﴿وَمَا خَلَقْتُ لِجَنَّ  
وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(١)</sup>.

حيث فسر ذلك بأنهم خلقوا ليعرفوه والشاهد على هذا المعنى هو الحديث القدسي: «كنت كنزًا مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأُعرف».

والإمام الحسين عليه السلام عندما خرج يوماً مع أصحابه قال لهم: «أيها الناس إن الله جل ذكره ما خلق الخلق إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبادوه، فإذا عبادوه استغنووا بعبادته عن عبادة ما سواه». إذن حُب الله يكمن في معرفته «فأحببت أن أعرف».

ومسألة معرفة الخالق من الواجبات القطعية عند العقل بحيث أن أي عاقل يحكم عقله بأنه من الواجب

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

عليك معرفة الخالق لك المنعم عليك وأن تشكره على نعمه. والأوامر التي وردت في القرآن المجيد حول وجوب المعرفة من قبيل: تفكروا... تدبروا... انظروا... كلها من قبيل الإرشاد إلى ذلك الحكم العقلي.

فالعقل يقول أن تتفكر وتتدبر في الآيات وال موجودات والقرآن أيضاً يذكر بهذا المعنى، بل قد يذكر في بعض الآيات مع تأكيد أكثر.

فلينظر الإنسان إلى خلقه وطعامه: «فَلَيَنْظُرِ الْإِنْسَنُ مِمَّ خُلِقَ»<sup>(١)</sup> على الإنسان أن ينظر أصل خلقته كيف صار هذا الكيان العظيم من قطرة ماء عفنة.

«فَلَيَنْظُرِ الْإِنْسَنُ إِلَى طَعَامِهِ»<sup>(٢)</sup> على الإنسان أن يتذكر في هذا الطعام الذي يأكله لكي لا يكون مثل الحيوان الذي لا يهمه إلا التوجه إلى الأمور المادية ولذة البطن، بل عليه أن يتوجه عندما يريد أن يأكل الطعام إلى أصله كيف كان؟ ومن الذي صنعه؟ هذا الخبز الذي يأكله، ماذا كان قبل الأكل؟

(١) سورة الطارق: الآية ٥.

(٢) سورة عبس: الآية ٢٤

﴿أَنَا صَبَّيْنَا الْمَاءَ صَبَّاً﴾<sup>(١)</sup> الصب على شكل حبة حبة قطرة قطرة وليس دفعه واحدة.

ما الأيدي التي جعلت من حبات القمح خبزاً طرياً سائغاً للأكل؟ كل هذه وسائل النعم الإلهية، فعلى الإنسان أن يتدبّر في هذه الحوادث والأمور وأن يتعرّف على ولّي نعمته.

فلينظر الإنسان إلى فوق رأسه.. الكواكب العظيمة ودورانها بمقدار بحيث لا تصطدم مع بعضها إطلاقاً، فلينظر الإنسان إلى الأرض وفي حركة دائمة إلا أنه جعل سطحها قابلاً ومناسباً للحياة ويمكن الاستفادة من ذلك بصور مختلفة من بناء وزراعة وأمور أخرى... فلينظر إلى الجبال المانعة من تلاشي الأرض، الجبال كالمسامير المثبتة في الأرض حتى تمنع تلاشي وتفتت الأرض نتيجة تحركاتها الهائلة الوضعية والانتقالية.

أجزاء عالم الوجود كلها آيات الله، على الإنسان أن ينظر إليها بعنوان أنها آية، وكل ما في الوجود كتاب لخالق الوجود يشهد على علمه وقدرته. طبعاً هذه المعرفة

---

(١) سورة عبس: الآية ٢٥.

الاستدلالية العقلية ناقصة و يجب أن تتكامل، فعلى الإنسان أن يسعى ليصل إلى مرتبة العلم واليقين الذي من آثاره السكون والاطمئنان والذي من آثاره أن لا يبقى أي شك و ريب عند الإنسان، عليه أن يعرف الله بالعلم لا بهذه المعرفة الاستدلالية للفعل فقط. فالذي ينظر إلى موجودات العالم بنظر الشراء والرغبة فإنه لا يرى الله لهذا يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «من أبصر بها بصره، ومن أبصر إليها أعمته»، فمن أبصر إلى الدنيا بنظر العبرة والبصيرة ورأى أن العالم وسيلة للمعرفة والوصول إلى مقام الإنسانية فسوف تبصّره الدنيا ويحصل على نتائج إنسانية. ويصل إلى الإيمان القلبي الثابت والذي ليس فيه طريق للريب والوسوسة ويصل إلى مقام الخشوع ويصبح محبًا لولي نعمته وأن يضحّي في سبيله. هذا العلم القلبي الذي عُبرَ عنه في الروايات بالنور. على الإنسان أن يسعى بمقدار استطاعته لكي يشرق هذا النور في قلبه و يتمكن الإنسان أن يرى الحقائق كما هي، حتى أنه ذكر في تفسير مجمع البيان في تفسير الآية الشريفة:

﴿فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يُشَرِّحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ﴾<sup>(١)</sup>.

رواية عن رسول الله ﷺ أنَّهُ سُئلَ عَنْ شَرِحِ الْصَّدْرِ مَا هُوَ؟ فَأَجَابَ: نُورٌ يُقْذِفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ، فَقَيْلَ: هَلْ لِذَلِكَ مِنْ عَلَمَةٍ؟ قَالَ حَلَّى لِلَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغَرُورِ، وَالْأَنْتَابَةُ إِلَى دَارِ الْخَلُودِ، وَالْأَسْتَعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلِ حَلْوِ الْفَوْتِ<sup>(٢)</sup>.

فَعِنْدَمَا يَحْصُلُ ذَلِكَ النُّورُ يَفْهَمُ بَأنَّ غَيْرَ اللَّهِ عَدْمُ وَلَا شَيْءٌ وَغَيْرَ قَابِلٍ لِلتَّعْلُقِ وَالْمُحَبَّةِ. هَذِهِ السُّعَادَةُ التَّامَّةُ لِلْإِنْسَانِ عِنْدَمَا يَكُونُ الإِنْسَانُ مُرْتَبَطًا بِاللَّهِ فَقْطًا لَا غَيْرَ، وَمُتَوَكِّلًا عَلَى اللَّهِ وَأَنْ يَكُونُ أَمْلَهُ وَرَجَاؤُهُ هُوَ اللَّهُ فَقْطًا، وَرَغْبَتِهِ فِي رِضَا اللَّهِ فَقْطًا.

أَمَّا رَأْيُ الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنِ الدِّينِ الْأَحْسَائِيِّ (ق.-س.) فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ هُوَ: إِنَّ حَقِيقَةَ الْعَالَمِ هُوَ نُورُ خَلْقِ اللَّهِ بِمَشِيقَتِهِ وَنَسْبَهِ لِنَفْسِهِ وَأَوْدِعَ فِيهِ أَجْمَلَ الصَّفَاتِ وَجَعَلَهُ مَثَالًا لِهِ فِي الْأَفْعَالِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ بِنَظَرِ الرَّحْمَةِ فَتَلَأَّ وَتَشَعَّشَ، فَخَلَقَ مِنْ أَشْعَتِهِ الْخَلَائِقَ بِأَنْواعِهَا وَمَرَاتِبِهَا.

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٥.

(٢) أصول الكافي.

فامتاز كل من الموجودات بصورته التي اختاره بحسب قابليته.

حقيقة كل مؤمن من شعاع نور محمد ﷺ فإذا عرف نفسه أي حقيقته عرف ربه، لأن نفسه مثال لشأن ربه، قد خص بالصفات الكمالية، ولهذه المعرفة درجات راجعة إلى اختلاف القابليات ومقامات الوالصلين ولذا يقول ﷺ : «أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه» فكل من هو أشد في تصفية نفسه في إعراضه عن العلاقات الدنيوية والعواطف السلبية فهو أحق بالتجليات الربوية وأقوى في معرفتها.

## التوحيد

التوحيد هو الأصل الأول عند الإمامية، وهو تزية ذات الله تعالى عن الشريك في ذاته وصفاته وفعله وعبادته، أو هو التزية والتقرير والتجريد، وهو نفس التوجه إلى الواحد.

والتوحيد له أربعة مراتب:

- ١- توحيد الذات.
- ٢- توحيد الصفات.
- ٣- توحيد الأفعال.
- ٤- توحيد العبادة.

وعندما سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن التوحيد قال عليه السلام: «التوحيد ألا تتوهّم».

التوحيد من حيث الموحد اثنان:

الأول: التوحيد الذاتي، وهو توحيد الله تعالى نفسه لنفسه كما قال تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾<sup>(١)</sup>، وهذا التوحيد لا يعرفه أحداً من المخلوقين، وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سبحانك ما عرفناك حق

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨.

معرفتك»، قوله ﷺ : «لا أحسني ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك».

الثاني: التوحيد الصفاتي أو الوصفي، وهذا ينقسم بحسب مقامات المخلوقين، أي حسب وقوفهم في العوالم إلى أربعة:

- ١- توحيد العبادة.
- ٢- توحيد الذات.
- ٣- التوحيد الشهودي والحضورى.
- ٤- التوحيد الحقيقى.

وهذا التوحيد هو توجه الخلق إلى توحيد سلطانه، ومعرفته بظهور آياته وصفاته.

١- توحيد العبادة: وهو توحيد عالم الأجسام (الناسوت)، وإنما سمي توحيد عالم الأجسام بتوحيد العبادة لأن توحيدهم بسبب ظهور الحق باسم وصفة المعبود في هذا المقام، وهو توحيد العوام، أهل التقليد الذين لا يعرفون إلا الرسم والاسم، لا الحقيقة. وهؤلاء صدقوا الأنبياء والمرسلين والكتب، وأمنوا بمضمون ما قالوا من غير أن يذوقوا بقلوبهم، ويدركوا بسرائرهم.

## ٢- توحيد الذات: وهو توحيد عالم النفوس (الملكون)

وهذا توحيد العوام أيضاً، إلا أنه أرقى من الأول، فأهل هذا العالم انتقلوا من أنفسهم وانتبهوا إلى توحيده تعالى، وهذا المقام ليس فيه تقليد، وهم الذين عرفوا الأثر واستدلوا به على المؤثر، واستدلالهم إنّي، يعني يستدلون بالأثر على المؤثر، كالمتكلمين والمشائين والرواقيين.

## ٣- التوحيد الشهودي والحضورى: وهو توحيد

عالم العقول (الجبروت)، وهذا توحيد الخواص، وهؤلاء يستدلون على الأثر بالمؤثر، واستدلالهم لّي، يعني يستدلون بالمؤثر على الأثر، وهم يرون الحق تعالى أظهر من كل شيء، بل لا يرون ظهوراً إلا ظهوره، ولا يشاهدون نوراً إلا نوره، كما في دعاء ليلة الخميس: «لا يُرى فيه نور إلا نورك، ولا يسمع فيه صوت إلا صوتك»، وقوله في الدعاء أيضاً: «أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك»، وسمى بالتوكيد الشهودي بسبب الكثرة، وهي من النفس، وهذا توحيد أهل القلوب من الإشراقيين والربانيين.

## ٤- التوكيد الحقيقى: وهو توحيد عالم الفؤاد، المعبر

عنه بعالم (اللاهوت)، وهؤلاء عرفوا الله بالله فتسوا

أنفسهم، ونسوا غيرهم، ولم يجدوا ولم ينظروا إلا لله تعالى، بحيث صاحب هذا المقام ما يرى نفسه، ولا يشعر بها، لأنَّه متوجه إلى محبوبه غاية التوجُّه، وهذا مقام صحو المعلوم بعد محو الموهوم، وطلوع صبح الأزل بعد إطفاء السراج، والسراج هو توحيد عالم العقل.

وقد أشار إلى هذا المقام الإمام الحسين عليهما السلام في دعائه: «أنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى لا يشاهدوا أحداً سواك»، وسمى بالتوحيد الحقيقي لأنَّ التوحيد الحقيقي هو توحيد هذا المقام، لأنَّ الفؤاد لا يشعر توحيدَه تعالى حقيقة، ولا يحصل التوحيد الحقيقي إلا به، وهذا توحيد الخصيصين، وهم خواص الخواص، وهو شأن أولي الأفئدة من الحكماء الإلهيين.

## إثبات وجود الواجب تعالى شأنه

لا يجوز التقليد في أصول الدين ومنها التوحيد، ولا بالظنّ الحاصل من أقوال الناس، بل لا بدّ من اليقين والإيمان، بالدلائل والبراهين العقلية والأشار الآفافية والأنفسية، ولو بطريق الإجمال كدليل العجوز، حيث رفعت يدها عن دولابها، حين سألها رسول الله ﷺ عن طريق معرفتها: يعني كما أن هذا الدولاب يحتاج إلى مثلي، في حركته وفعله، فكذلك الأفلاك، فلا بدّ لها من مدبر.

أدلة كثيرة في إثبات واجب الوجود وخالق الممكنات، وجود الله سبحانه وتعالى لا شك فيه لأنّ وجوده أمر وجداني، «أَفِي اللَّهِ شَكٌ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»<sup>(١)</sup> ومن ذا الذي يشك في وجود الباني إذا رأى وجود النجار وإذا رأى باباً، بل العاقل البصير يتوجه إلى وجودهما بمجرد مشاهدة صنعهما. كذلك الآفاق والأنفس وخالقهما

(١) سورة إبراهيم: الآية ١٠.

(عميت عين لا تراك). ولكن بفرض أن هذا الحادث موجود بنفسه أي: أوجد نفسه (زيد أوجد نفسه) في هذه الحالة يجب تحصيل الحاصل أي يجب أن يكون زيد موجود أساساً حتى يوجد نفسه، أو أن يكون معدوماً هذا محال لأن المعدوم لا يقدر على انوجاد نفسه، فمعطى الشيء لا بد أن لا يكون فاقد للشيء فكيف المعدوم يوجد نفسه وهو فاقد للوجود؟

في هذا الفرض يجب الترجيح بلا مرجح: إذا أراد الحادث (الممكן) المسبوق بالعدم أن يوجد نفسه لا بد أن يكون هناك حق قديم يوجده وهو الله تبارك وتعالى. فهو الذي يوجد الحادث في زمن معين ومكان معين وحالة معينة، فالمرجح (هو القديم)، هو المسؤول عن انوجاد الحادث ويؤكد ذلك:

عندما سُئل الإمام الرضا عليه السلام عن الدليل في إثبات الواجب وحدوث العالم، قال عليه السلام: «أنت ما كونت نفسك ولا كونك من هو مثلك» يعني أيها الضعيف لا تتمكن من دفع المكاره عن نفسك ولا جلب الحاجة إلى نفسك.

كذلك عندما سُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن إثبات الصانع قال عليه السلام:

«البيرة تدل على البعير، والروثة تدل على الحمير،  
وآثار القدم تدل على المسير، فهيكلاً علوي بهذه اللطافة،  
ومركزاً سفلي بهذه الكثافة، كيف لا يدلان على اللطيف  
الخبير؟».

وروى أيضاً عن أبي جعفر عليهما السلام أنه قال:  
«إن رجلاً قام إلى أمير المؤمنين عليهما السلام فقال: يا أمير  
المؤمنين بماذا عرفت ربك؟ قال: بفسخ العزم ونقض  
الهمم، لما هممت فحيل بيني وبين همي، وعزمت فخالفت  
القضاء عزمه علمت أن المدبر غيري»<sup>(١)</sup>.

كذلك عندما سُئل أبو عبد الله عليهما السلام فقيل له: بما  
عرفت ربك؟

قال عليهما السلام: «بسخ العزم ونقض الهمم عزمه ففسخ  
عزمه، وهمم فنقض همي»<sup>(٢)</sup>.

ومن تفحص الكتاب والسنة والأفاق والأنفس وجد  
الآثار الكثيرة والدلائل الواضحة على وجود موجب لهذا

(١) كتاب التوحيد: ص ٢٨٨.

(٢) كتاب التوحيد: ص ٢٨٩.

الكون حتى أنه ليرى في كل قطرة مطر، ونفحة هواء هو  
الله الذي لا إله إلا هو ونعم من قيل:

فاعجباً كيف يعصي الإله أم كيف يجحده الجاحد  
وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

## ما هي مقومات التوحيد الأربع؟

### ١- مقام توحيد الذات:

يجب الاعتقاد إن الله سبحانه، لا شريك له في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال ولا في العبادة. ويجب الاعتقاد بأن الموجد للموجودات كافة والصانع للممكناًت عامة هو الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد وأنه ليس كمثله شيء، «لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا»<sup>(١)</sup> والمطالعة في الكائنات و مشابهه بعضها لبعض في العيشة والحياة، كما أن الذرة مثلاً وما في جوفها من الشموس والكواكب وحركاتها التي تشبه الأفلالك شبهأً كاملاً، والإنسان الذي يمثل العالم الأكبر في طبقات وجوده و دقائق خلقته تدل على أن خالق الذرة هو خالق الدرة و صانع الإنسان هو مكون الأكون: «وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ»<sup>(٢)</sup> وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد.

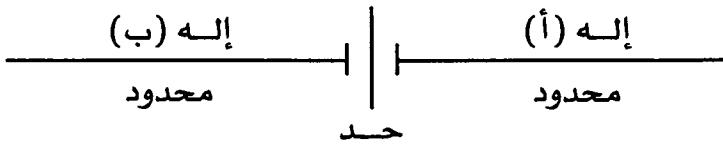
وأوضح الأدلة على وحدانيته تعالى هي:

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٨٤.

## - إثبات الوحدانية لله تبارك وتعالى:

١- إثبات أن صفة التركيب والاحتياج والتناهي من صفات الخلق وليس الحق.



أ- لو قلنا أن القديم مركب من حد ومحدود فإن (أ) تكون من حد ومحدود (ب) تتكون من حد ومحدود وكل منها يحتاج إلى الآخر، والاحتياج من صفات الحادث فيكون الفرض باطل لأن الله غني بالذات لا يحتاج إلى مساعد.

ب- والافتراض الذي يقول أن الله (الذات القديمة) له كثرات أي لا أقل اثنين ذلك يستلزم التركيب في ذات الله والتركيب من صفات الخلق وليس من صفات الحق وهذا فرض باطل.

ج- ولأن المحدود (أ) يتكون من (حد ومحدود) والمحدود (ب) يتكون من حد ومحدود وكل منها يحتاج إلى الآخر وكل منها له بداية ونهاية، إذن الاثنين يحتاج

إلى التناهي (الموت) والتناهي من صفات الحادث  
وليس من صفات الحق وهذا فرض باطل.

إذن صفة التركيب والتناهي والاحتياج من صفات  
الخلق وليس من صفات الحق فالله غني بالذات بلا  
بداية ولا نهاية غير مركب بل واحد أحد<sup>(١)</sup>.

٢- لفرض إلهين مستقلين في الوجود بحيث يكون كل  
واحد منها ممتازاً عن الآخر بذاته لا بأمر زائد،  
وطلاق الوجود والوجوب والقدم يكون عليهما  
بالعرض لا بالذات كالماشي بالنسبة إلى الحيوان  
والإنسان مثلاً.

(أ) (له صفة الوجود والوجوب والقدم) بالعرض

(ب) (له صفة الوجود والوجوب والقدم) بالعرض

هذا الفرض بالنسبة إلى الواجب باطل ومحال لأسباب:  
أ- أن الأمر العرضي خارج عن الذات يقيناً إذ لو كان  
داخلاً لكان ذاتياً لها، فالعرضي غير الذاتي البتة،  
ولو فرضنا إطلاق الوجود والوجوب عليهما بالعرض  
لزم ألا يكونا موجودين ولا واجدين في حقيقة

(١) أحد: تبني أن الله واحد في ذاته وصفاته وأفعاله وعبادته.

ذاتهما وإذا لم يكونا موجودين كانوا معدومين. وإذا لم يكونوا واجبين لكانا حادثين.

بـ- يجب من هذا الفرض تغييرهما من حال إلى حال، قبل العرض وبعد العرض والقديم لا يطراً عليه التغيير من حال إلى حال.

جـ- يجب احتياجهما إلى العارض وفرض كل واحد من هذه الحالات التي يختص بالحادث باطل في حق الواجب بالذات.

فرجعنا إلى إثبات واجب قديم يكون وجوبه عين ذاته وغناه عين وجوده ليسد فاقحة الإمكان.

إله      إله      إله      إله  
فرجة      فرجة      فرجة      فرجة ← إلى ما لا نهاية

٣- دليل الفرجة:<sup>(١)</sup> لو فرضنا إلهين اثنين قددين، فلا بد بينهما فرجة حتى يتميز كل عن الآخر، وهذه الفرجة لا بد أن تكون قديمة مثليهما، والا إن كانت حادثة وأثرت في القديم لم يكن القديم إلهًا.

(١) راجع جوامع الكلم المجلد الثاني (الرسائل الحكمية ٢) في جواب الشاهزاده محمود ميرزا، ص ٥٣٨.

فلو فرضناها قديمة تكون الآلهة حينئذ ثلاثة بينهم فرجتان فتكون الآلهة خمسة بينهم أربع فرج، فتكون تسعة، فسبعة عشر، فثلاث وثلاثين وهكذا إلى ما لا نهاية. وهذا باطل لا يصير إليه عاقل.

**٤- دليل التماض:** لو فرضنا إلهين اثنين يريد هذا أن يرزق زيداً رزقاً واسعاً، ويريد ذاك أن لا يرزقه، فاما تتفذ الإرادتان معاً أم لا، أو تتفذ إرادة أحدهما دون الآخر.

الفرض الأول محال لأنه يستلزم اجتماع النقيضين، والفرض الثاني ينفي كونهما إلهين لضعفهما وضعف إرادتهما، وفي الثالث النافذ إرادته هو الله وحده.

إذا تحقق إرادتهما	أ يريد خلق
يكون اجتماع النقيضين	ـ

زيداً

عدم تتحقق إرادتهما يقتضي	ب لا يريد خلق
ارتفاع النقيضين وضعفهمـ	ـ

إذن طالما العالم يسير بنظام واحد، وعلى قانون ودعة واحدة علمنا أنه واحد أحد، لا شريك له كما قال الشاعر:  
ومن كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

## ٢- توحيد الصفات:

صفات الله الثبوتية عين ذاته<sup>(١)</sup> مثل نظير الملوحة بالنسبة للملح أو نظير الرطوبة بالنسبة للماء. يجب الاعتقاد أن الله سبحانه وتعالى صاحب الصفات الكمالية لا يشاركه فيها أحد وهي ستة: العلم - القدرة - الحياة - السمع - البصر والقدم. هذه الصفات ثابتة لله تبارك وتعالى لا تنفك عنه أبداً.

ولا نلتفت إلى من يزعم بأن الصفات ترجع إلى السلوكيات يعني ليس بجاهل وليس بعجز لأن إذا سلينا الصفات الكمالية لم ثبت بشيء. فيجب إثبات الصفات له فصفاته عين ذاته.

## صفاته الثبوتية الذاتية:

### ١- العلم: يجب الاعتقاد بأن الله عالم بجميع الأمور

(١) عين ذاته يعني مثال كوب الشاي فهو يتكون من ماء وشاي وسكر وله طعم حلو ولون معين لا يمكن تجزئته هذه الصفات ولكن كلها صفة واحدة، كذلك الله جل جلاله هو السميع العليم البصير الحي القادر... لا يمكن نجزأ هذه الصفات كله ذات وصفه (عين ذاته) الفرق بين الله عز وجل وكوب الشاي أن صفات الشاي نعلمها ولكن صفات الله لا نعلمها ولا نعرفها كما أن أجزاء الشاي يمكن أن تنفك وتتنزع أما صفات الله لا تنفك كما أن الشاي يحتاج إلى أجزاءه أما الله لا يحتاج إلى أجزاء ليس كمثله شيء.

والأشياء، كلها وجزئها، كبيرها وصغيرها، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض، عالم بالموجودات قبل وجودها، وعلمه بالشيء قبل وجوده كعلمه به بعد وجوده ليس فيه تغيير ولا تبدل بل هو عن ذاته وليس لما سواه في هذا العلم حظ ولا نصيب. أما علم الحادث خلقه ونسبة إلى نفسه وأودعه في أواح نفوس من يشاء من المرسلين والأنبياء والملائكة المقربين وعباده الصالحين قوله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِه﴾<sup>(١)</sup>.

أما من زعم من الفلاسفة الإسلاميين أن الله تعالى لا يعلم بالجزئيات من مخلوقاته، بل يعلم بالكلي من حيث المجموع، مثلاً يعلم زيد بوجهه كلي من رزقه ومماته وخلقته ومكانه وزمانه وجميع ما يصدر منه أما جزئياته من حيث الجزء فلا يعلم تعالى ذلك مثل قيام زيد وجلوسه وأكله ونومه وفعله من الضرب والكتابة الصادرة من زيد فلا يعلم الحق تعالى من جهة الجزء بما هو جزء، بل يعلم كل هذه الأمور الجزئية بوجهه كلي، أما جزئي فلا يعلم فرد عليهم الشيخ الأوحد أعلى الله مقامه بأنه تعالى يعلم

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

الكلي بالكلي، ويعلم الجزئي بنفس الجزئي بلا تفاوت ولا اختلاف، فكما يعلم الكلي من حيث المجموع وكلياً، كذلك يعلم الجزئي من حيث الجزء جزئياً بلا اختلاف قوله تعالى ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾<sup>(١)</sup> ، الآية صريحة ولو كان الله لا يعلم الجزء افتراضاً بما هو جزء يلزم عندنا عدة مفاسد هي:

- ١- إذا قلنا أنه لا يعلم الجزء هذا العلم نفي لصفة العلم منه تعالى، ونفي العلم عنه هونفي للذات لأن العلم عين الذات، فإذا نفينا العلم نفينا الذات وهذا باطل.
- ٢- يلزم الجهل منه تعالى بالنسبة إلى الجزء، والجهل لا يجري عليه تعالى لأنه يناقض العلم كما أن صفات الذات هي التي لا تنتفي ولا ضد لها، فإذا ثبتنا الجهل له من جهة الجزء ثبتنا حدوثه وعجزه وهذا خلاف الفرض من كونه عالماً غير جاهل.
- ٣- يلزم عند التغيير في الذات البات من جهة يعلم الكلي

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٥٩.

ولا يعلم الجزئي والتغيير من حال إلى حال من صفات الحدوث وهذا خلاف الفرض من كونه قدِيماً غير متغير.

**٢- القدرة:** الله قادر وقدرته عين ذاته، ولو لم يكن قادرًا لكان عاجزاً والعجز من صفات الحادث. ولو لم يكن مختاراً لكان مضطراً والاضطرار أيضاً علامته للعجز والذل. سبحان ربكم رب العزة عما يصفون، ولكن بعض الفلاسفة يزعمون عدم قدرة الله على الكثرة بقولهم إن الله واحد والواحد لا يصدر عنه إلا واحد، والمجوس ذهبوا إلى الخير من الله تعالى والشر من الشيطان لأن الله خير محض وفاعل الشر شرير، أما الثنوية ذهبوا إلى أن الخير من النور والشر من الظلمة وغيرها من الفرق التي تزعم على عدم قدرة الله كلّ على طريقته. فكل هذه الأقوال بسبب ابتعادهم عن أحاديث أهل العصمة عليهم السلام. واستقلالهم بأرائهم من دون عرضها على الكتاب والعترة الطاهرة عليهم السلام كما دعانا إليه الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم في حديث الثقلين.

وكان رد الشيخ الأوحد أعلى الله مقامه على من يدعى أن

الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد قال أن هذه الشبهة ناشئة من اعتقادهم بأن الخلق والإيجاد بالذات مثل النار عملها من جهة واحدة هي الحرارة، فالحرارة للنار ذاتية فلا يمكن لها أن تصدر غير الحرارة من البرودة أو الرطوبة ولكن لو كانوا ملتزمين بأقوال أهل العصمة عليهم السلام قولهم عليهم السلام أن أفعال الله تعالى صادرة بالمشيئة أي بفعله انحل الاشكال قول الإمام الصادق عليه السلام: «خلق المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة» لا مانع من تعلق المشيئة بأمور كثيرة فيمكن للإنسان أن يفعل بفعله الأمور الكثيرة مثل الكتابة والمشي والقيام وغيرها بفعل واحد. كذلك الحق تعالى خلق الأشياء كلها من السموات والأرض بما فيها بمشيئته تعالى.

٣- الحياة: الله حي لأنه هو الذي وهب الحياة، وخلق الأرض والسموات «**هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**»<sup>(١)</sup>، ولا يخلق الخلق ولا يهب الحياة إلا الحي القيوم الدائم. الحياة بمعناها الواسع الحقيقي هي العلم والقدرة،

---

(١) سورة غافر الآية ٦٥.

وعليه فإنّ من يملك العلم والقدرة اللامتناهيين يملك  
الحياة الكاملة.

حياة الله هي مجموعة علمه وقدرته، وفي الواقع بالعلم  
والقدرة يمكن التمييز بين الحي وغير الحي.

٤- السمع والبصر: إنه سميع بصير، والسمع والبصر  
عين ذاته، يسمع أصوات الداعين وتسبيح المسبحين  
ومناجاتهم، ويبصر جميع أعمال المخلوقات ويحيط  
بأسرارهم من دون آلة السمع والبصر ﴿لَا تُدْرِكُهُ  
الْأَبْصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَيِّرُ﴾<sup>(١)</sup> لأن  
الأعضاء والجوارح يحتاجه الحادث الضعيف أما الله  
سبحانه هو الغني والمنزه عن الاحتياج. هذا من زعم أن  
له آلة سمع وجارحة بصر والحال أنه القديم الأزلية الذي  
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وقد زعموا أن سمع  
وبصر القديم إنما يليقان بجلالته وعظمته رد عليهم  
الشيخ أحمد زين الدين الإحسائي أعلى الله مقامه بأن  
هذه الآلة والجارحة للسمع والبصر إما أن تكونا قديمين  
أو حادثتين إذ لا ثالث غيرهما.

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

فإن قلتم بالقدم تعدد القدماء بدليل الفرجة وهو باطل.

وإن قلتم بالحدوث، يعني أن هذه الآلة والجارحة مخلوقة يلزم من هذا احتياج القديم الأزلي إلى الحادث المخلوق، وهذا مما لم يقل به أحد من العقلاة أصلًا.

فتتعين أن سمع وبصر القديم هما عين ذاته.

٦- القدم: يجب الاعتقاد بأنه تعالى قديم أزلي، ليس بحادث، لأن الحادث لا بد له من موجد، والتغيير والموت والعدم سبحانه وتعالى عن هذه الصفات، لأنها صفات الممكن، والواجب منزه عنها وهو القديم الأزلي الأبدى ليس قبله شيء ولا بعده شيء وليس كمثله شيء.

بعض من الحكماء أحقوا بالصفات الثبوتية (الكرم)، والإدراك) ولا بأس به، وإن الإدراك فرع العلم.

### ٣- توحيد الأفعال:

يجب الاعتقاد بأن الخلق والرزق والإحياء والإماتة والإرادة والكرامة من الأفعال الكونية والإمكانية التي تسمى بالصفات الفعلية كلها مختصة لله تبارك وتعالى،

لا تكون إلا بأمره ومشيئته، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. قوله تعالى «**هُوَ اللَّهُ الْخَلِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ**»<sup>(١)</sup> «**رَبِّ الَّذِي يُحِيٍّ وَيُمِيتُ**»<sup>(٢)</sup> فالأرض والسماء وحملة العرش وغيرهم والعناصر والفصول والأباء والأمهات وغيرها كلها وسائل أسباب كما قال الإمام الرضا عليه السلام: «أبى الله أن يجري الأمور إلا بأسبابها» فقد اقتضت حكمته جل وعلا أن يجعل بعضًا من مخلوقاته سبباً للخلق أو وسيلة للرزق أو علة للإحياء والإماتة.

فحملة العرش هم وسائل للأفعال الأربع التي بها قوام الوجود: فميكائيل للرزق، وإسرافيل للحياة، وعزراiel للموت، وجبرائيل للخلق، وهم يستمدون الفيض من الملائكة العالين الذين يحملون العرش فوقهم، قوله تعالى: «**وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْهُمْ يَوْمَذِي ثَمَنَيْهِ**»<sup>(٣)</sup>.

ما ظهر من الأنبياء والأولياء من المعاجز والكرامات كخلق الخفash وإحياء الموتى من المسيح عيسى بن مرريم عليه السلام ونسب الإمامة لعزراiel «**قُلْ يَنْهَا فَنُكُمْ**

(١) سورة الحشر: الآية ٢٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٨.

(٣) سورة الحاقة: الآية ١٧.

مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِلَ بِكُمْ<sup>(١)</sup> وَهُوَ مَأْمُورٌ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ. وَأَمْثَالُهَا مِنَ الْمَعْصُومِينَ صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ إِما لِإثْبَاتِهِ مَقَامَاتِهِ الْمُنْبَعِةَ مِنَ النَّبِيَّ وَالْإِمَامَةِ، وَإِما لِأَنَّهُم مِنَ الْوَسَائِلِ الْوَجُودِيَّةِ وَالْأَسْبَابِ الْكُوْنِيَّةِ بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ سَبَحَانَهُ لَيْسَ لَهُمْ اسْتِقْلَالٌ وَلَا طَرْفَةُ عَيْنٍ أَبْدَأَ «بَلْ عِبَادُ مَكْرُمُونَ»<sup>(٢)</sup> لَا يَسْقِفُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ<sup>(٣)</sup> أَمَا الصَّفَاتُ الَّتِي لَا تَجُوزُ عَلَى أَفْعَالِهِ مُثْلِ سَلْبِ الْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَامَةِ عَنْهُ تَعَالَى، لِأَنَّ الرَّازِقَ الْمَحِيَّ الْمَمِيتَ وَالْخَالِقَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

#### ٤- توحيد العبادة:

«وَقَضَوْنَ رَبِّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ»<sup>(٤)</sup> لَا يَجُوزُ التَّوْجِهُ فِي الْعِبَادَاتِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، وَلَا مَعْبُودٌ سُواهُ مِنْ دُونِ تَصْوِيرِ أَحَدٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقْرَبِينَ أَوِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَرْسُلِينَ أَوِ الْأَئْمَةِ الْمَعْصُومِينَ صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، فَتَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ لَا تَجُوزُ إِلَّا لِفَاطِرِ السَّمَاوَاتِ

(١) سورة السجدة: الآية ١١.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٦-٢٧.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

والأرض ولا يليق التسبيح بحمده والتقديس له (سبحان ربى الأعلى وبحمده) الركوع والسجود وكل مؤشرات الطاعة والعبادة، والخضوع والخشوع والتذلل لا تليق إلا لذات كبرياته فقط وليس لغيره، إن سجود الملائكة لم يكن لأجل آدم بالذات بل إنه رمز لاحترام أبي البشر.

إن التوجّه إلى الكعبة المكرمة، وقبلها إلى البيت المقدّس، ليس إلا يوجّه العباد إلى نقطة شريفة مقدّسة، معينة، جامعة للشتات، مانعة عن التفرق، داعية إلى النّظام المطلوب وهو الله سبحانه وتعالى «فَإِنَّمَا تُؤْلَوْا فِيْمَ وَجْهِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

فجميع الأفعال يجب أن تكون لله وحده لا شريك له، أما لو كان ذرة لغير الله، لا ترفع ولا تقبل وتكون وبالاً على المكلف وبعداً عن الله «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا»<sup>(٢)</sup>.

هذه المعرفة هي المعرفة الواجبة على المكلفين، وما زاد منها فهي نوافل، وتسابق في الرقي والقرب إليه تعالى.

(١) سورة البقرة: الآية ١١٥.

(٢) سورة الكهف: الآية ١١٠.



## هل يوجد ارتباط بين الحق والخلق؟

لا يجوز الارتباط<sup>(١)</sup> والاقتران<sup>(٢)</sup> بين الحق والخلق لأنه سبحانه لا يقترن بشيء ولا يرتبط بشيء ولا يقترن به شيء ولا يرتبط به شيء لأن الاقتران والارتباط من صفات الحدوث.

فأما الاقتران: فلا تجري على الله تبارك وتعالى بسبب حدوثها فهي: الاجتماع بعد الانفصال، الانفصال بعد الاجتماع، الحركة بعد السكون، السكون بعد الحركة فهذه حالات متغيرة حادثة وليس قديمة فهي ليست من صفات الله تعالى لأنها قديمة لا تعترف بها الحالات.

الارتباط: هي النسبة بين المنتسبين.

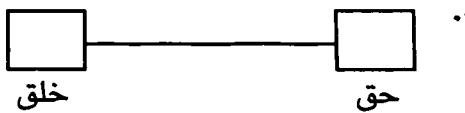
إن كان ذاتياً لها فله مدخلية في ذات الواجب والدخول والخروج من صفات الحدوث.



(١) الارتباط: هي النسبة بين المنتسبين.

(٢) الاقتران: من الأشكال الأربع التي أجمع العقلاً على حدوثها وهي: (الاجتماع والانفصال والحركة والسكون) وهذه حادثة لأنها متغيرة فلا تجري على الله سبحانه وتعالى.

وإن كانتا (الاقتران والارتباط) إضافية إلى الذات  
فليس لها مدخلية في الذات فبقيت الذات بلا اقتران  
ولا ارتباط.



لأن تفتت إلى من يدعى أن الارتباط بين الحق والخلق  
بلا واسطة بل جميع الأشياء التي خلقها الله قائمة بالذات  
بالواسطة وهي المشيئة (الأبناء بواسطة الوالدين)، (الله  
يتوفى الأنفس بواسطة عز رائيل) والمشيئة قائمة ب نفسهاها  
كما قال الإمام المعصوم عليه السلام: «خلق الله الأشياء  
بالمشيئة، والمشيئة بنفسها». أنا أتكلم بالمشيئة، وأكل  
بالمشيئة وأشرب بالمشيئة ولكن من أين تأتي هذه المشيئة؟  
لا ندري؟

إذن الرابط بين الحق والخلق باطل، فالرابط هو قيام  
شيء بشيء وهو على أربعة أقسام: صدوري - ركني -  
ظهورى وعروضي.

#### ١- القيام الصدوري:

هو قيام الأثر بفعل المؤثر لا بذات الأثر كقيام النور  
بالشمس وليس بينهما فصل ولا وصل لأن الفصل يستدعي

وجود واسطة وهي تمنع عن صدوره والوصول يقتضي الوحدة فلا يكون المؤثر موثرًا والأثر أثراً. بل نقول بينهما ربط ولكن بالوسائل. والواسطة بين الحق والخلق هي المشيئة وأوعيتها (وهي قلب المعصوم عليه السلام).

مثال: الحياة مربوطة بالله ولكن بواسطة إسرافيل. إذن القيام الصدوري هو قيام الأثر بفعل المؤثر (لابذات المؤثر) يعني قيام وإنجاد الأثر بواسطة فعل المؤثر وهذا الفعل من صفاته الإضافية التي توجد بواسطة المشيئة كما قال الإمام عليه السلام: «خلق الله الأشياء بالمشيئة وخلق المشيئة بنفسها».

والمشيئة ظرف لأفعال الله تبارك وتعالى وحامل لها وأهل البيت عليهم السلام حاملين لمشيئة الله تبارك وتعالى كما قال الإمام الحجة عليه السلام: «بل قلوبنا أوعية مشيئة الله فإذا شاء شيئاً».

## ٢- القيام الركني:

(أن يكون المقوم ركن المتقوم).

مثال: كقيام المركب بالأجزاء (المركب متقوم والأجزاء

التي يتكون منها تسمى مقوم) كقيام الإنسان بالجسمية والناطقية.

الإنسان: مركب من الجسمية والناطقية فلو لا أحدهما لما تحققت الإنسانية .

كقيام المستقates بالمصدر، فالمصدر هو المقوم للمشتقة.

مثال: كلمة الكاتب قائم بالمصدر وهي (الكتابة) مع انضمامها بقيد الفاعلية، وكلمة (المكتوب) قائم بالمصدر أيضاً مع انضمامها بقيد المفعولية، ولو لا الكتابة لانعدم الكاتب نستنتج من السابق أن المصادر بأسرها أمور متحققة متصلة وليس أمور اعتبارية غير متصلة.

في الوجود شيئين هما:

أ- أمور متحققة متصلة مثل النور الذي يشرق من الشمس.

ب- أمور اعتبارية غير متصلة كالظل ليس له أصلية بل تابع للغير أي بوجود الشمس والجدار أن يوجد الظل.

إذن المستقates كلها فروع للمصادر ومتقومة بها قيام ركن فلو كانت المصادر اعتبارية لكان الفروع اعتبارية

بطريق أولى. فلا يتصور في الكون شيء متأصل ومتتحقق وهذا من أشد التوهّمات الناشئة من الاعتقاد باعتبارية المصادر ومن هذا القبيل أي من قبيل القيام الركني، قيام الماهيات بالوجود، كقيام الأمواج بالبحر، لولا ما كان البحر لما وجدت الأمواج.

### ٣- القيام الظهوري:

أن يكون المقوم مظهراً للحقيقة وكم قيام نور الشمس بالجدار، فلو لا الجدار لما ظهر لنا نور الشمس، لأن النور الذي يتراهى أمامنا هو عبارة عن انعكاس ضوء الشمس عن الجدار، فالضوء الواصل للعين هو أشعة منعكسة. لولا الأضداد لما عرفنا الأشياء، وكل عال له سافل، وكل طويل مقابله قصير وهكذا.

وقد ثبت أن القيام الظهوري عبارة عن ظهور الذوات الممكنة في المشتقات القائمة بالمصادر قيام ركن.

مثال: (حسن قائم) ظهور حسن (الذات) في المشتق (قائم) ولو لا القيام (المصدر) لما عرفنا حسن.

#### ٤- القيام العروضي:

عبارة عن قيام الإعراض بالجواهر (الذوات) كقيام الألوان بالأجسام وجميع ذلك من حدود المخلوق فلا يجري على الله لأنه هو أجراء (إنتهى المخلوق إلى مثله وألجهاء الطلب إلى شكله).

## الذات لا تُعرف

سبق وقلنا أنه لا توجد مناسبة ولا ربط ذاتياً بين الحق والحق، مهما فكر الخلق في ذات الله فلن يتمكن من معرفة الذات لأن المعرفة تستدعي المناسبة والمناسبة لا تجري على ذات الحق، فليس هناك سبيل إلى معرفة الذات (فالطريق إليه مسدود والطلب مردود دليلاً آياته وجوده إثباته) هذا ما قاله أمير المؤمنين علي عليه السلام فمعرفتنا عنه سبحانه وجوده، يعني نعلم باليقين بأن للعالم موحد صاحب ومستجمع للصفات الكمالية ولكن ليس لنا علم سوى هذا الإجمال بكميته وكيفيته لأن الكم والكيف أيضاً من صفات الحدوث، فلا يطرأ أن على القديم بالذات. فظهر لخلقه بخلقه لأن الظاهر من صفاته الفعلية، فتتجلى الخلق بالخلق كما قال سيد الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام: «الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه» وقال عليه السلام: «تجلى لها بها وبها امتنع منها وإليها حاكمها» يعني تجلى سبحانه بفعله الموجود في الخلق بخلقه، وبوجود الخلق إمتنع من التجانس والتتشبه والاجتماع والاقتران ولوازمتها مع الخلق، لأنها كلها من

صفات الحدوث وهو عز إسمه متعال عن صفات الحدوث،  
وجعل الحكم والقضاء إلى الخلق يعني كلما تعقل المخلوق  
في خلقة نفسه من أنه متناه ومحتاج وضعيف إلى غير  
ذلك من صفات الحادث إعترف وأقر بأنه ليس بمرتبط  
بздات الله الفي اللامتناهي القادر بالذات.

بل الارتباط بينه وبين الحق في درجة المخلوقية وبقدر  
ظهور آثار فعله له وقابلية قبول ذلك الظهور فإذا لا  
يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم.

## «ليس للذات اسم»

### كيف تنفون الاسم عن الذات؟

بالدلائل العقلية والنقلية أن ذات الله تبارك وتعالى ليس لها اسم:

- ١- **الدلائل العقلية:** ذات الحق غير معروفة فمهما فكر الإنسان بالذات فإنه لا يتمكن من معرفتها وذلك بسبب:
  - ١- لأن ليس لنا علماً بها إلا أنه موجود فلذلك لا يتمكن أن نضع اسمًا للذات.
  - ٢- عند الفلاسفة أن الاسم هو ما أنبأ عن المسمى، فإذا فرضنا إننا وضعنا إسماً للذات عز وجل لأنبأنا هذا الاسم عن الذات ووقع الذات في جهة المعروف وهذا من الحالات العقلية لأن الذات غير معروفة لنا فالطريق إليه مسدود والطلب مردود.
  - ٣- جميع الأسماء حادثة فلو كان للذات مسماة للزم الاقتراض بها لأن الاسم والمسمى مقترنان والاقتراض من صفات الحدوث.
  - ٤- لو كان للذات اسم للزم انتقال الذات من حال إلى

حال والتغير في الحال من صفات الحدوث لأن قبل حدوث الأسماء لم يكن مسماه وبعد حدوث الأسماء سُمي، فعرض عليه حالتان قبل حدوث الأسماء وبعد حدوث الأسماء.

**بــ الدلائل النقلية (المروية عن أهل البيت عليهم السلام):**

إذا قلت وكيف ليس للذات إسم وقد قال عز اسمه في كتابه المجيد: «وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُتَحْدُونَ فِي أَسْمَنِيهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ»<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى: «هُوَ اللَّهُ الْخَلِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ»<sup>(٣)</sup>.

هذه الآيات تنادي بأعلى صوت بأن لله الأسماء الحسنة كيف نفسر ذلك؟ لو تدبرت في هذه الآيات وأخذت تفسيرها وتأنيلها عن الراسخون في العلم وهم محمد وآل محمد حَلَى لفظيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لعلمت أن هذه الأسماء ليست لذاته جل جلاله بل الأسماء كلها راجعة إلى صفاتاته

(١) سورة الأعراف: الآية ١٨٠.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١١٠.

(٣) سورة الحشر: الآية ٢٤.

الفعالية الإضافية والمقامات والعلامات ولكن المقصود  
عند الاطلاق هو الذات.

### مثال للتوضيح:

الشخص الجالس أو القائم أو الكاتب فكل واحد منهم  
له إسم من الأسماء ولكن راجعة إلى صفاته وأفعاله وليس  
لذاته. كذلك الكلام في أسماء الله تبارك وتعالى وله  
المثل الأعلى وليس كمثله شيء.

قال الإمام أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الله غاية من  
غيّاه والمعنى غير الغاية، توحد بالربوبية ووصف نفسه  
بغير محدودية».

فالذاكر (الله) غير الله، والله غير اسماءه، يعني ذات  
الله تبارك وتعالى غير اسماءه، ومن هنا يتضح أن تسمية  
الذات جل وعلا بهذه الأسماء الحاد وزنقة، بل الأسماء  
لالأفعال والصفات.

من هنا يتضح بأن كل أحد أوقع الأسماء على ذاته جل  
جلاله صير الذات مخلوقاً في ذهنه وهذا إحاد ودخل  
تحت حكم «والذين يلحدون في اسماؤه».

يعني يوقعون الأسماء على الذات، قوله «العزّة لله»،

والعظمة لله»، وقال «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا»، وقال «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ» فالأسماء مضافة إليه منسوبة إليه كما أن الكعبة المقدسة منسوبة إليه، لا كشف عن ذات الله شيء، وهو التوحيد الخالص. فذاته ليست محتاجة لاسم وما كان لها اسم ولكنه اختار لنفسه (أي خلق لنفسه) أسماء لاحتياج الفير لهذه الأسماء يتوجهون بهذه الأسماء إليه. فثبتت مما قدمنا عن كلمات أئمتنا عليهم السلام، أن الأسماء بأسرها مخلوقة فلا تطلق على الذات بوجه من الوجود ومن أطلق الأسماء على الذات فقد ألد في أسماءه وكفر وسلك مسلك الشر.

أما تفسير الآية «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا» عن الإمام الصادق عليه السلام قال: في تفسير هذه الآية «نحن والله الأسماء الحسنة».

الخلاصة: الله ليس لذاته اسمًا ولكنه خلق لنفسه أسماء بالرغم من أنه غير محتاج لاسم ولكنه خلق هذه الأسماء لغيره يدعوه لأنه إذا لم يدعوه باسمه لم يعرف، وأول ما اختار لنفسه اسم (العلي العظيم) لأنه أعلى الأشياء كلها.

أسماء الله تبارك وتعالى على قسمين تدوينية وتكونية:

**أ- الأسماء التدوينية:** هي التي ترکب من الحروف والألفاظ كلّمة الرحمن والرحيم وأشهر أسماء الله التدوينية كما ورد عنهم عليهم السلام تسعة وتسعين اسمًا كما قال علي عليه السلام: «أن لله تسعة وتسعين إسماً من دعا الله بها استجاب له ومن أحصاها دخل الجنة» أي من اعتقد بها وأمن بها.

هذه الأسماء توقيفية ومحدودة ليس لنا أن نزيد أو ننقص إسماً من أسماءه إلا بدليل شرعي، كما قال الإمام الرضا عليه السلام: «ليس لك أن تسمه بما لم يسم به نفسه»، ولا تلتقيت إلى من يدّعى بأن أسماء الله غير متناهية، كذاته لأن هذا يوجب أن تكون الأسماء كاشفة للذات وهذا مخالف لدلائلنا العقلية والنقلية.

فهذه الأسماء لا تبين الذات لأن الذات غير معروفة حتى عند الأنبياء ولا يوجد أينبي حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى أنه يعرف الذات ولكن هذه الأسماء للصفات الفعلية الإضافية والمقامات والعلامات، فإذا قلنا يا الله لا نقصد إلا الذات ولكن لا نعرف الذات، وإذا قلنا يا رزاق

لا نقصد الرزق ولكن نقصد هنا الذات كذلك إذا قلنا: يا رحيم يا رحمن هذه صفات الله ولكن توجهنا إلى الذات وليس التوجه للصفات.

ولتوضيح ذلك: في حالة جلوس شخص ما فإن الجلوس إسم لصفة الشخص وليس المقصود الذات، فإذا قلنا يا جالس لا نقصد ولا نلتفت إلى جلوسه بل إلى ذاته، لذلك يكون الجلوس صفة تظهر فعل الشخص.

كذلك إذا كان لدينا قلم لونه أصفر وقلنا هذا القلم لونه أصفر، هنا نقصد لون القلم وليس ذات القلم ولكن إذا قلنا هات هذا الأصفر، أقصد هنا القلم بذاته وليس اللون.

إذن معرفة الذات محال ولكن المراد عند الاطلاق ليس إلا الذات البات قال الإمام الحجة عليه السلام وأرواحنا له الفدا: «وبمقاماتك وعلاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك، فتقها ورتفها بيديك بدئها منك وعودها إليك». قوله عليه السلام: «لا فرق بينك وبينها» يريد في التعريف والتعريف لا في الحقيقة والذات، كالقاعد

مثلاً فإن من عرفه، عرف زيداً القاعد فلا فرق بين القاعد وزيد في التعريف والتعرف. أما في الحقيقة القاعد صفة من صفات فعله أو جدها بفعله وسبيل معرفة ذلك ملاحظة الحديدية المحماة. فإنه لا فرق بينها وبين النار إذا وضعت الحديدية في النار واندكت بها تجد الحديدية حاملة لصفة من صفات النار الفعلية وهي الحرارة (الإحراق) واللون الأحمر، وقبل وضع الحديدية في النار كان لونها أسود وباردة، إذن صفات النار ظهرت في هذه الحديدية كما قيل: قالت النار للحديدة: بأنه (أنا أنت، وأنت أنا) في النور والحرارة ولكن أنا أنا، وأنت أنت.

كذلك أولياء الله أفتقوا وجودهم لله فجميع أفعالهم تكون خالصة لله. يعيش مع الناس وبينهم ولكن أفكاره لله وعمله خالص لله وأكل لله ونومه لله. كل أفعاله وحركاته وسكناته لله فيصبح ولينا لله «عبدي اطعن تكون مثلني أنا أقول للشيء كن فيكون وأنت تقول للشيء كن فيكون».

**بـ- الأسماء التكوينية:** كما إن أسماء الله التدوينية (٩٩) إسم من أسماء الله كل يشير إلى معنى من معاني أفعاله سبحانه وتعالى كذلك له أسماء تكوينية وهي

عبارة عن آياته التي تنسجم في الآفاق من سماء ونجوم  
وكواكب ومجرات وغيرها كذلك في الأنفس أي كل عضو  
وجزء وذرة من جسم الإنسان. إذن الأسماء التكوينية  
على قسمين:

- ١- أسماء آفافية وهي غير متناهية زماناً ومكاناً من جهة  
الزمان من صبح الأزل إلى ليل الأبد.
- ٢- أسماء نفسية.

قوله تعالى ﴿ سَرِّيهُمْ إِيَّنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ  
حَتَّىٰ يَبْيَانَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْلَمْ يَكْفِي بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
شَهِيدٌ ﴾.

نعم، كما أن أسماءه التدوينية على درجات وحدود  
مشخصة وبعضاها جامع لجميع أسمائه كلفظ الجلاله  
(الله) فكذلك أسماءه التكوينية، مثلاً ورقة من الشجر  
آية من آياته واسم من أسمائه وفيها من العجائب والدلائل  
بقدر تكفي للعقل البصیر أن ينظر فيها ويخضع لحالقها  
المدبر القادر الحكيم ولكن دلالة هذه الورقة بالختم أقل  
من دلالة نفس الشجرة وما خلق الله فيها من العجائب من  
أصلها وساقها. وأغصانها وثمرها وما في هذه الثمار من

اللذة والعطر والحلوة واللون والخواص الفذائية والطبية  
إلى ما شاء الله، بقدر أن الإنسان يتحير من قدرة بارئها  
وحاقيقها وكذلك كلما ارتقى الإنسان في درجات الخلقة  
يزيد تحيراً ويعترف بقدرة وحكمة خالقها أكثر وأكثر.

ولكن في عالم الآفاق موجودات عالية متعالية هم في  
أعلى درجات من العظمة ولا يدانيهم مخلوق في السموات  
والأرضين وهم الأسماء الحسنى والكلمات التامات  
والآيات العظمى وهم محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين  
عليهم السلام كما قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير  
الأية المباركة «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا» قال عليه السلام:  
«نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد  
إلا بمعرفتنا» هنا يتضح لك أن الالحاد في أسمائه جل  
وعلا عبارة عن الانحراف عن أسماءه الحسنى الذين  
هم محمد وأل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين  
في معرفته وعبادته إلى غيرهم كما قال الإمام في ذيل  
الرواية السابقة «وَلَا يَقْبِلُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادِ إِلَّا بِمَعْرِفَتِنَا»  
يعني قبول جميع الأعمال متوقف على قبول ولايتهم وبدون  
ولائهم لا يقبل الله عملاً، وقال عليه السلام في رواية أخرى  
«بِنَا عَرَفَ اللَّهُ وَبِنَا عَبَدَ اللَّهُ، وَلَوْلَا نَا مَا عَرَفَ اللَّهُ وَلَوْلَا نَا

ما عبد الله» يعني لا يحصل لأحد معرفة الله حق معرفته وتوحيد الله حق توحيده إلا بمعرفتهم والإقرار بفضائلهم ومقاماتهم التي لا تعطيل لها في كل مكان. كما قال إمامنا الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف في دعاء كل يوم من شهر رجب الموجب «وبمقاماتك وعلاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان عرفك بها من عرفك... إلى آخر الدعاء» فإن غاية العرفان ونهاية التوحيد لا تحصل إلا بمعرفتهم عليهم السلام والتسليم لهم.

يعني: يجب علينا وعلى كل مؤمن ومؤمنة أن نعبد الله بما عبده ونعرفه بما عرفوه ونصفه بما وصفوه وندعوه سبحانه باسمائه (اللفظية) وصفاته (الحالات) ومعانيه (الأفعال). معنى ذلك كما أشار إليه شيخنا الأوحد رضوان الله عليه في شرحه للزيارة الجامعة الكبيرة في تفسير فقرة: «ومقدمكم أمام طلبتني».

مثلاً: إذا قلنا يا رحيم فإننا ندعوا معبوداً وصف نفسه برحمة حادثة خلقها واشتقها من لطفه، وهم صلوات الله عليهم تلك الرحمة الحادثة ولا نريد بها الرحمة التي هي ذاته لأن تلك لا عبارة لها (أي ما عندنا عبارة تكشف عن

الذات) ولا كيف (والدليل غير موجود) لأنها (أي بالنسبة للذات) هي هو بلا اعتبار وتعدد ولا كثرة ولا مغايرة فلا تقع عليه العبارة ولا تعنيه الإشارة ولا تميزه الصفات ولا تكتنفه الأوقات وإنما الرحمة التي هي معنى من معاني اسمائه أحدثها وتعبد بها خلقه، أي عرفوه بهذه الرحمة التي خلقها قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ أي ملكه وخلقه فادعوه بها، فنقول يا كريم يا جواد يا غفور وهكذا سائر اسماءه وهي هم عليهم السلام، أي يا حامل كرم الله وهم محمد وآل محمد صلوات الله عليهم.

يقول الشيخ الأوحد أعلى الله مقامه: قولي في قول الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ أنهم هم الأسماء الحسنة وقولي في قوله ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ أريد به أنهم عليهم السلام أي ادعوا الله بواسطتهم، هم الرحمة المحدثة التي هي ركن رحيم والكرم المحدث الذي هو ركن كريم والجواد المحدث الذي هو ركن جواد والمغفرة المحدثة التي هي ركن الغفور، هذه الأسماء تقومت بهذه المعاني المحدثة لأن هذه الأسماء أسماء أفعال الذات العالية وهي التي أمرنا أن ندعوه بها. فكريم اسم فاعل أما الكرم فهو اسم فعل والكرم ركنه الذي تقوم به وهم عليهم السلام ذلك

الكرم الذي هوركن اسم كريم ومتقوم به، وإنما كان كريم إسماً لتقومه بالكرم وكريم هو دليلنا على المعبد المدعوا سبحانه والمقصود بالعبارة والسؤال والدعاء هو مدلول كريم وسماءه على وجه تض محل فيه هذه الأسماء الدالة والمطالب والطلابين والطلابون عن الوجدان بلا إشارة ولا كيف وهكذا في جميع أسماءه سبحانه هذه الرتبة هي رتبتهم في المعاني، قولهم عليهم السلام «نحن معانيه»، يعني معاني أفعاله لأنه تعالى لم يعرف إلا بما عرف به بنفسه، ولم يتعرف آثار أفعال النار من الحرارة والإحراق، على أفعالها وأفعالها تدل بما تقومت به على نفس النار من جهة القصد إليها والمعرفة لها ولا نريد أن تلك الأسماء أي أسماء أفعالها كالمحرق والمسخن والمحرر، تدل عليها أي على كنهها دلالة تكشف عن حقيقتها وإنما نريد أنها تدل عليها من جهة ما ظهرت به لنا من أفعالها أي تعرفت لنا به لأنها لم تظهر لنا بذاتها وإنما ظهرت بأفعالها.

إذن هذا هو التوحيد بل هو كمال التوحيد بأن أهل البيت عليهم السلام هم أسمائه وصفاته والحاملون لأسمائه وصفاته فإذا أردنا أن نتوسل إلى الله بسببهم

وبواسطتهم نتوسل ولكن القصد النهائي هو الله فهم  
(١٤ معصوم) وسائل بيننا وبين الله فهم الوسائل التي  
تحتاجها عند التوجّه إلى الله سبحانه لأنّهم هم أسمائه  
وصفاته حتى لا يكون هناك حجاب بيننا وبين الله إذا  
توجهنا بهم وقدمنا غير ذات جل جلاله.



## معرفة الله على

### قدر معرفة آياته وصفاته

قوله تعالى: «أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَيْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ<sup>(١٧)</sup> وَإِلَى  
السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ<sup>(١٨)</sup> وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ<sup>(١٩)</sup> وَإِلَى الْأَرْضِ  
كَيْفَ سُطِحَتْ<sup>(٢٠)</sup>».

إن معرفة الأعرابي الجاهل في توحيد الله عز وجل بالنظر إلى ناقته، وطول عنقها، وقوّة قوائمها، وتحملها مشاق الأحمال والسير، وصبرها على الجوع والعطش غير معرفة ذلك الفلكي الذي ينظر إلى عجائب هذا المحيط الكبير، ويشاهد أعمق السموات من وراء الميكروسکوب العملاقة ويطالع في جمال الأفلاك، ونظام المجرات والسيارات وحركة الكواكب والأقمار، وتأثير نوميسها في الحياة، وقوّة جاذبيتها. بمقارنة معرفة الإعرابي مع معرفة الفلكي طبعاً معرفة الفلكي في وجود الصانع أفضّل وأعلى وأدق من معرفة الإعرابي. وأعظم من هذا وذلك، معرفة الله سبحانه ونبيّاته ورسله وعباده الصالحين

(١) سورة الفاطحة: الآية ٢٠-١٧.

الذين ظهروا بالصورة البشرية التي هي أكبر حجج الله،  
والسيرة الإنسانية، والأخلاق الجميلة الملكوتية، والروح  
القوية الجبروتية، والحقيقة المقدسة اللاهوتية ﴿إِنَّ  
جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>(١)</sup>، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُمْهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ  
رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وبالأخص عند معرفة الرسول الأكرم محمد ﷺ  
خاتمهم وسيدهم وأكثراهم علماً وأقربهم من الله، ما لم  
يصل إليه ملك مقرب ولا نبى مرسلا قوله تعالى ﴿مَمْ دَنَّا  
فَنَدَلَّ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنَ أَوْ أَدْنَى﴾<sup>(٤)</sup>.

فمعرفة هذا الموجود الكامل، وأهل بيته المعصومين،  
الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وجعلهم  
بمنزلة نفسه، وخلفائه وأوصيائه، قد ورثوا علمه، ومراتبه  
المنيعة إِلَّا النبوة، وكلهم آياته العظمى، وحججه الكبرى،  
وصفاته العليا، مصادر فيضه، ومظاهر عدله، ومرائى  
جماله، ومحال مشيئته وأفعاله، ومن عرفهم فقد عرف  
الله، ومن أحبهم فقد أحب الله، ومن أبغضهم فقد أبغض

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠.

(٢) سورة الحجر: الآية ٢٩.

(٣) سورة النجم: الآية ٩-٨.

الله لأنهم وجه الله الباقي، وأذن الله السامعة، وعينه  
الناشرة ولسانه الناطق، ويده الباسطة، قال عليهما السلام: «بنا  
عرف الله، وبنا عبد الله، ولو لانا ما عرف الله، ولو لانا  
ما عبد الله» وعندما سُئل أبي عبد الله عليهما السلام: ما معرفة  
الله؟ قال عليهما السلام: معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يحب  
عليهم طاعته وإذا سألت كيف يكون معرفة الإمام هي  
معرفة الله نقول لك: إن ذات الله لا تعرف ولا يحاط بها  
 وإنما يعرف الله تعالى بأياته التي ظهر بها للخلق ولا آية  
لله تعالى أعظم من وجود الإمام كما قال أمير المؤمنين  
عليه السلام: «أي آية لله أكبر مني وأي نبأ أعظم مني» فمن  
عرف الإمام فقد عرف الله لأنه عرفه بما ظهر به في  
الإمكان ظهوراً وصفياً لا ظهوراً ذاتياً.



## ما هو طريق الوصول إلى هذه المعرفة؟

اعلم إنّ حقيقة العالم هونور خلقه الله بمشيئته ونسبة لنفسه وأودع فيه أجمل الصفات وجعله مثالاً له في الأفعال، فنظر إليه بنظر الرحمة فتلاً وتشعشع، فخلق من أشعته الخلائق بأنواعها ومراتبها، فامتاز كل من الموجودات بصورته التي اختاره بحسب قابليته، فحقيقة كل مؤمن من شعاع ذلك النور، فإذا عرف نفسه أي حقيقته عرف ربه، لأن نفسه مثال لمثال ربه، قد خص بالصفات الكمالية، والطريق إلى هذه المعرفة، رفع الحجب عن وجهها، وكنس غبار الأنانية عنها وذلك بالرياضات الشرعية (العمل بالواجبات والتجنب عن المحرمات، والتلبس بالأخلاق الفاضلة والصفات الملكوتية، والقيام بالمستحبات وترك المكرهات، والإكثار من النوافل لأنها موجبات القرب إلى الله كما قال سبحانه: «لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها» وكذلك الأخلاص في أقواله وأعماله ومنوياته حتى يفرق في بحر المحبة وينسى نفسيته وأنيته فهناك يعرف

نفسه، ويمثل ربه كما يقول جلا وعلا «عبدي أطعني تكن  
مثلي أنا أقول للشيء كن فيكون، وأنت تقول للشيء كن  
فيكون»، فذاته عز وجلّ أَجَلَ أن تعرف، لا يعرف ذاته لا  
نبي مرسلاً ولا ملك مقرباً ولا يتصور، ولا يشار إليه بل  
العبد يتصف بالصفات المخلوقة المحبوبة المنسوبة إلى  
المولى من العدل والكرم والرأفة والرحمة ويعرفه بها.

يقول الشيخ أحمد بن زين الدين أعلى الله مقامه في رسالته المختصرة في ذكر الطريق الموصل إلى الله تعالى: «الطريق الموصل إلى الله تعالى من الطريق الأقرب الأصح أَتَ تخلص العبادة لِللهِ تَعَالَى بحسب الجهد في الإخلاص والتوجه، وأن تقلل الطعام والشراب في الجملة بحيث لا ت ملي من الطعام والشراب، وأن تقلل اشتغال الدنيا بأن تقتصر على قدر ما يكفي وأن تفرغ نفسك كل يوم وليلة وتنتظر في السموات والأرض وما فيها من الخلق بأن تتفكر في صنع الله سبحانه، بأي تفكير كان أسرع في الوصول وأسلم وأبعد من الخطأ وأقرب إلى الصواب، وتجهد في المداومة على هذه الأمور الثلاثة فإنه هو ذكر الله الكثير قوله تعالى ﴿فَاذْكُرْنِي اذْكُرْنَم﴾<sup>(١)</sup> وترك

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٢.

هذه الأمور الثلاثة هونسيان الله قوله تعالى ﴿نَسُوا اللَّهَ فَتَسِيمُهُم﴾<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ محمد بوخمسين أعلى الله مقامه: سُئل أحد الأنبياء عليهم السلام ربه قال: (كيف الوصول إليك؟) قال: القِنْفُسُكَ وَتَعَالَى.

ويشير إلى هذا المعنى تأويل قوله تعالى ﴿وَمَا تَلَكَ يَمِينِكَ يَمُوسَى﴾<sup>(١٧)</sup> قال هي عصاًي أَتَوَكَّؤُ عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلَيْ فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى<sup>(١٨)</sup> قال أَقْهَاهَا يَمُوسَى<sup>(١٩)</sup> فَأَلْقَنَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى<sup>(٢٠)</sup>.

المراد من اليمين الوجود، لأن جهة أعلى الشيء، الذي هو من ربه.

ومن العصا الإنية، التي هي جهة من نفسه، ومن الفنم رعاياه وأنعامه من جميع أمته، ومن مآرب أخرى: استدلاله بفقرها على غناه، وبجهلها على علمه، وبعجزها على قدرته، وبحدوثها على أزليته، وبتفبرها على عدم تغيره، وبعد استقلالها على استقلاله، وبمقارقتها على

(١) سورة التوبية: الآية ٦٧.

(٢) سورة طه: الآية ٢٠-١٧.

بينونته عن خلقه بصفته إلى غير ذلك، فلما لم يستفن بها، ولا اعتمد عليها، ولا التفت إلى شيء سواه تعالى رأها حية تسعى، ولهذا لما قال له سبحانه (خذها) أو جس منها خيفة، وما جسر على أخذها قال سبحانه (ولا تخف سنعدها) لك في قوس إدبارها (سيرتها الأولى) بل تكون أحسن سيرة لأنك أحيايتها بالقائك. فعلامة وصولك هناك نسيانك نفسك بالمرة وإعراضك عن إنيتك.

ولهذه المعرفة درجات راجعة إلى اختلاف القابليات ومقامات الواصلين ولذا يقول الرسول الأكرم حَلَّ لِفَقِيلِيْرَ اللَّهُمَّ : «أعرفكم بنفسه، أعرفكم بربه»، فكل من هو أشد في تصفية نفسه في إعراضه عن العلاقات الدنيوية والعواطف السلبية فهو أحق بالتجليات الربوبية وأقوى في معرفتها مثالها المرأة أمام الشمس، فإن صورة الشمس فيها هي مثال تجليات الشمس، فإذا كانت صافية (أي المرأة) ليس عليها غبار، فمتى رأها فكأنما يرى الشمس، وعرفها وليس الشمس في المرأة وليس المرأة عرفت ذات الشمس. بل عرفت آثارها من الحرار والأشعة، وله المثل الأعلى في السموات والأرض. وأصفى مرآة في عالم الوجود هي نفس سيد الكائنات وأشرف

الموجودات لتلك التجليات ولهذا يقول حَلَى لِنْفَعِنْ وَقَالَ اللَّمْ : «من  
رَأَيَ فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ» ومن بعده في الصفاء أخوه وقرنه  
أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ولكمال معرفته يقول: «لو كشف  
الغطاء ما ازددت يقيناً» ومن بعده أولاده عليهم السلام.



## كيف كانت بداية الخلق؟

خلق عالم الامكان:

الله سبحانه وتعالى لما وجب أن يكمل صنعه، ويتحقق أمره، ويحسن خلقه، والخلق والصنع بأن يكون مختاراً ذا شعور وإدراك أحسن وأولى من أن يكون مضطراً بلا فهم وإدراك، وإجراء هذا الاختيار بالإعطاء على حسب الميولات والاقتضاءات في العالمين: عالم التكوين والتشريع أولى من إجرائه في التشريع فحسب، ولا يليق به تعالى لقدرته التامة، وغناه المطلق، وعلمه العام البالغ أن يعدل من الأحسن والأولى إلى غيره، وحيث كان الأنبياء (عليهم السلام) مؤاخذين بترك الأولى، مأمورين بفعله، فسبحان ربنا الكريم الأعلى.

وإذا كان الأمر كذلك، فخلق الله سبحانه بحر الإمكان، وجعل فيه ذكر الأشياء مما يمكن أن يكون متعلقاً بجعل الإلهي والفيض السرمدي. فكل ممكناً فيه هو قوله عليه السلام: «جف القلم بما هو كائن»<sup>(١)</sup>.

(١) روى عن الإمام الرضا عليه السلام قال: جف القلم بحقيقة الكتاب من الله، بالسعادة لمن آمن واتّقى، والشقاوة من الله تبارك وتعالى لمن كذب وعصى.

وذلك هو العلم الحادث، وحجاب الواحدية، والإمكان الراجح، وبحر القدر الذي في قعره شمسٌ تُضيء، لا ينبغي أن يطلع عليها إلاّ الواحد الفرد، فمن يطلع عليها فقد ضادَ الله في ملكه، ونازعه في سلطانه، وباء بغضب من الله، وأماواه جهنّم وبئس المصير.

وهو الاسم المكنون المخزون الذي استأثره الله في علم الغيب عنده، لم يطلع عليه أحد، ومنه أمر بالاستزادة حين قال عز وجل : «وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا»<sup>(١)</sup> ثم جعل الله سبحانه أهل ذلك العالم (أي عالم الذكر والإمكان لا عالم الوجود والأعيان) بحيث إذا سئلوا أجابوا، فسألهم لما سألوه أن يسائلهم «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ»<sup>(٢)</sup>، وذلك ليوجّدهم ويكون لهم.

فمن سبق الإجابة استأهل سابقية الوجود والظهور من عالم الإمكان إلى عالم الأكونان<sup>(٣)</sup>. فأول من سبق الإجابة التكوينية قصبة الياقوت النابتة في أجمة الآلهوت المشتملة على أربعة عشر عقداً على حسب مراتبهم،

(١) سورة طه: الآية ١١٤.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

(٣) التحول من عالم الإمكان إلى عالم الأكونان.

فأول السابقين هو محمد صلى الله عليه وسلم وكان بذلك عرشاً  
لذلك العالم، ثم السابق في الإجابة على علي عليهما السلام وكان  
بذلك كرسي ذلك العالم، الظاهر بمنطقته على اثنى  
عشر برجاً، ثم السابق في الإجابة الحسن عليهما السلام وكان  
بذلك شمس ذلك العالم، ثم الحسين عليهما السلام وكان بذلك  
قمر ذلك العالم، ثم القائم (عجل الله فرجه) وكان  
بذلك مريخ ذلك العالم، ثم سائر الأئمة الثمانية (عليهم  
السلام) فكانوا بذلك سائر أفراده مع فلك البروج، وفلك  
المنازل وفلك الرأس وفلك الذنب ثم الطاهرة الصديقة  
عليها الشفاعة فكانت بذلك أرض ذلك العالم.

لما سبقوا في الوجود وأحاطت الأنوار الإلهية على  
غيبهم وشهودهم، وأشارت على كل ذراتهم، تلاؤ  
نورهم، وتشعشع ظهورهم، واقترب ذلك النور بالحدود  
والماءيات، فخلق منه مائة ألف وأربعة وعشرون ألف  
نبي (عليهم السلام)<sup>(١)</sup> وهم (أي الأنبياء) لما بدوا عن  
المبدأ ولو بواسطة ظهرت الظلمة فيهم بحيث قد يتركون

(١) عندما سأله جابر بن عبد الله رسول الله ﷺ: أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ قال ﷺ: نور نبيك يا جابر.. فشرح ذلك النور وقطرت منه مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة فخلق الله من كل قطرة روح نبي ورسول.

الأولى، بخلاف الأولين السابقين المقربين وهم محمد وآله الطيبين الطاهرين فلا يتركون الأولى لتلاشي ظلمتهم واحتراقها بنار الشجرة الزيتونة التي ليست شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور<sup>(١)</sup>.

ما بعد النور وظهور الغيور<sup>(٢)</sup>، اقتضت ظهور المعاصي والسيئات، وإعلان القبائح والخطيئات، وأراد الله سبحانه إكمال نعمته، وإتمام حجّته، وإظهار كمال سلطته ورأفته في رعيته وخليقته، لئلا يكون لأحد على الله حجّة، ولا يكون لأهل المعاصي عذر. فخلق سبحانه من نور طينتهم (أي طينة الأنبياء عليهم السلام) وحقيتهم ماء طعمه أحلى من العسل، ولونه أبيض من العاج ورائحته أطيب من الكافور والمسك ولمسه ألين من الزبد، وجعله تحت العرش وهو ماء المزن وبحر الصاد والنون، ثم خلق سبحانه من ثقل<sup>(٣)</sup> ذلك الماء وزبده أرضاً طيبة ظاهرة نقية عن الأوساخ والأعراض، بيضاء كالفضة الصافية بل أشد بياضاً منها، ونباتها الزعفران وثمرها المسك وحصاها اللؤلؤ والمرجان والياقوت والألماس.

(١) اقتباس من سورة النور: الآية ٢٥.

(٢) حديث الخلق الأول أو الطينة والميثاق.

(٣) الثقل: ما استقر تحت الشيء من كدرة.

ثم إِنَّه سُبْحَانَه أَجْرٍ ذَلِكَ الْمَاءُ عَلَى تِلْكَ الْأَرْضِ بِيَمِينِ  
كَلْمَتِهِ وَنُورِ مُشِيَّطِهِ فَعَرَكَهُمَا وَصَلَّصَهُمَا حَتَّى صَارَا شَيْئاً  
وَاحِدًا، وَمَاءٌ مَعِينًا فَرَاتًا سَائِفًا شَرَابَهُ لِأَنَّ الْأَرْضَ كَانَتْ  
مَقْدَارَ رِبعِ الْمَاءِ.

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَه شَجَرَةً تُسَمَّى شَجَرَةُ الْمَزْنَ، وَجَعَلَ ذَلِكَ  
الْمَاءَ يَقْطَرُ عَلَى تِلْكَ الشَّجَرَةِ قَطْرَاتٍ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى:  
﴿أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَسْرِيْونَ ﴾٦٨﴿ إِنَّمَا أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمَزْنِ أَمْ نَحْنُ  
الْمُنْزِلُونَ ﴾٦٩﴾<sup>(١)</sup>.

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَه مِنْ ظَلِّ نُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَعَكْسِهِ ظَلْمَةً  
غَاسِقَةً مَدْلُهَمَّةً، وَفَجَرَ مِنْهَا عَيْنًا آنِيَةً، لَوْنُهَا أَسْوَدُ مِنِ  
الْقَارِ وَطَعْمُهَا أَمْرٌ مِنِ الْحَنْظَلِ وَرَائِحَتُهَا أَنْتَنِ مِنِ الْجَيْفَةِ،  
وَحَرَارَتُهَا أَشَدٌ مِنِ النَّارِ وَلِسَهَا أَقْطَعَ مِنِ الْأَلْمَاسِ، وَجَعَلَهَا  
فِي السَّجْنِ، أَسْفَلَ سَافَلِينَ.

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَه مِنْ تَقْلِيلِ ذَلِكَ الْمَاءِ الْمَالِحِ الْأَجَاجِ أَرْضًا  
خَبِيثَةً نَجْسَةً مُنْتَنَةً سُودَاءً مَظْلَمَةً، فَصَعَدَ مِنْ حَرَارَةِ  
تِلْكَ الْعَيْنِ بَخَارٍ إِلَى الْأَرْضِ التِّي فَوْقَهَا، وَذَلِكَ الْبَخَارُ

(١) سُورَةُ الْوَاقِعَةِ: الآيَاتُ ٦٨، ٦٩.

النجس والدخان المفتن ببرودة تلك الأرض، فاستحالاً ماءً فأجرى الله سبحانه وتعالى كلمته ونفذ إراداته ذلك الماء على تلك الأرض، فعركمها ومزجهم حتى صارا شيئاً واحداً، ثم خلق سبحانه شجرة تسمى ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الرَّقُومِ﴾<sup>(٤٣)</sup> طعام الأثيم<sup>(٤٤)</sup> كالمهمل يغلي في البطنون<sup>(٤٥)</sup> كغلى الحميم<sup>(٤٦)</sup>، وفي آية أخرى ﴿طَلَعْهَا كَانَهُ رُؤُسُ الشَّيَاطِينِ﴾<sup>(٤٧)</sup>. ثم أجرى ذلك الماء على تلك الشجرة فصعدت منها الأبخرة، ونزلت من شجرة المزن قطرات إلى أن التقى في أرض المحشر أرض عالم الظلال، فهو ملتقى البحرين ومجمع العالمين ومحل اجتماع الضدين، فمزج الله سبحانه بينهما هناك حتى صارا شيئاً واحداً بكلمته ونفذ قدرته.

ثم أخرج منها النسمات، وخلق بهما الأرضين والسموات وهو قوله تعالى ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾<sup>(٤٨)</sup>، ثم أقام الخلق<sup>(٤)</sup> في باطن المسجد الحرام، عند الركن

(١) سورة الدخان: الآية ٤٢، ٤٦.

(٢) سورة الصافات: الآية ٦٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢١٢.

(٤) جميع الخلق من الإنس والجن والملائكة والحيوانات والنباتات والجمادات.

العرافي من البيت، ركن الحجر الأسود، فسألهم ليجري حكمه عليهم، ويميز بين الطيب والخبيث، والحق والباطل، فنطق بلسان نفسه بلسان أنفسهم «أَسْتُ بِرِّيْكُمْ، وَمُحَمَّدٌ أَنْتُ عَلَيْكُمْ نَبِيُّكُمْ، وَعَلَيَّ إِلَيْهِمْ وَالْأَئْمَةُ الْأَحَدُ عَشْرُ مِنْ وَلْدِهِ وَالصَّدِيقَةُ الطَّاهِرَةُ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهَا السَّلَامُ أَئْمَتُكُمْ وَأَوْلَائِكُمْ؟» عندئذ افترق الخلق إلى ثلات أقسام:

١- قسم صدق بلسانه وقلبه.

٢- قسم صدق بلسانه وأنكر قلبيه.

٣- قسم أنكر بقلبه ولسانه.

فالمصدق بلسانه وقلبه خلق بأحسن صورة، صورة الإنسانية لأنها صورة التوحيد والمعرفة لذا لا يدخل النار والعياذ بالله بهذه الصورة، بل تنزع منه ويلبس صورة بعض الحيوانات من القردة والخنازير وغيرها.

وأما الذي صدق بلسانه وأنكر بقلبه خلق ظاهره طيب حسن الصورة الإنسانية، وباطنه خبيث بصورة الشياطين وصورة الكلاب والخنازير لذا نجد كثيراً من الروايات وبعض المكاشفات التي تحدث للأولئك عندما يرون بعض

الناس بصورتهم الحقيقية يذعون خوفاً، كما روي أن رجلاً قال لعلي بن الحسين عليهما السلام: «بماذا فضلنا على أعدائنا وفيهم من هو أجمل منا؟» فقال له الإمام عليهما السلام: أتحب أن ترى فضلك عليهم؟ فقال: نعم، فمسح يده على وجهه وقال: أنظر، فنظر فاضطرب وقال: جعلت فداك ردني إلى ما كنت فإني لم أرد في المسجد إلا دباً وقرداً وكلباً فمسح يده على وجهه فعاد إلى حاله». كذلك الحال مع الإمام موسى الكاظم عليهما السلام عندما قال علي بن يقطين: «ما أكثر الحجاج في هذه السنة عليهما السلام بإشارة من الإمام زالت الحجب منه، فرأى أغلبهم قردة وخنازير فقال: ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج».

وأما الذي أنكر بلسانه وقلبه فخلقه شيطاناً وهم الشياطين الذين يضلون ويوسوسون في صدور الناس والعياذ بالله، فالله تعالى خلق كل مكلف على حسب ذكره واجابته للدعوة في ذلك العالم.

لذا قال تعالى: «**بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ**<sup>(١)</sup>» فعندما ألقى التكليف التشريعي جعل الحق معياراً لحقيقة الطاعة

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٧١.

ولحقيقة المعصية، فالذى يصيب حقيقة الطاعة، الله تعالى يدخله الجنة، وإن أخل ببعض التكاليف الشرعية من الصلاة والصوم والحج وغيرها، حيث تبدل سيئاته يوم القيمة حسنات لأن الحسنات حبه، والسيئات بغضه، قوله تعالى ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتِهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾<sup>(١)</sup>، فمهما كان عليه من الذنوب فإن الله تعالى يمحصه عند الموت أو بعد الموت أو يوم القيمة حتى يدخل الجنة.

والذى يصيب حقيقة المعصية، الله يكتبه على منخريه في نار جهنم وإن فعل ما فعل من الطاعات والعبادات من قيام الليل وصوم النهار قوله تعالى ﴿وَقَدْ مَنَّا إِلَيْنَا مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُرًا﴾<sup>(٢)</sup>، فحقيقة الطاعة هي ولاية علي بن أبي طالب عليهما السلام، وحقيقة المعصية هي بغض علي بن أبي طالب عليهما السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «حب علي بن أبي طالب حسنة لا تضر معها سيئة، وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة»<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الفرقان: الآية ٧٠.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٢٣.

(٣) مشارق أنوار اليقين: ٦٦.



## من عرف نفسه فقد عرف ربه

يعني أن الشخص إذا عرف نفسه مجردة عن كل إضافة ونسبة بكل اعتبار وفرض لم يجد إلا صفة الله سبحانه أي وصفه نفسه لذلك الشخص، فلهذا يعرف ربه لأن ربه جل وعلا لما أراد أن يعرفه ذلك الشخص وصف نفسه له وذلك الوصف هو حقيقة ذلك الشخص.

ولا يمكن أن يعرف الله سبحانه أحد إلا بمعرفتهم. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «نحن الأعرااف الذين لا يُعرف الله إلا بسبيل معرفتنا».

### توضيح ذلك الشرح:

ما أحّب الله أن يتعرّف للخلق (لا يمكن أن يعرفوه بذاته) تعرّف لهم بوصف نفسه لهم، وأعلى وصف صدر عن فعله ما تعرّف به لـ محمد وآلـه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذلك الوصف هو حقيقتهم من الوجود،

ثم وصف نفسه بهم مَنْ دونهم (كالأنبياء)، فكان هذا الوصف حقيقة هؤلاء وهم الأنبياء،

ثم وصف نفسه عنهم (بأهل البيت عليهم السلام)

بأنبياء للمؤمنين العارفين فكان هذا الوصف حقيقة  
هؤلاء المؤمنين، هكذا.

فإذا جرّد المؤمن نفسه عن كل ما سواها<sup>(١)</sup>، وجدهم

(١) فإذا جرّد المؤمن نفسه في الملاحظة والوجdan عن جميع سماتها ونسبها وعن كل شيء حتى عن التجريد فإنك ستعرف المراد ويتبين لك ذلك بنور الله الذي هو الفؤاد بعد التجريد وهو كل موهوم من إشارة وتنبيه وهو سرّ السين في قوله تعالى: «سَرِّيْهُمْ ءَيْتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ أَنْجَحُ» فقد وعد الله سبحانه عباده العارفين أنه سيريهم «سَرِّيْهُمْ» وهو النقش الفهلواني التعريفي الذي هو الوصف والتعریف والترعرف من الله سبحانه لعبداته وهو حقيقته من ربها وهو نور الله الذي يرى» به المتoscum المتقرّس وهو الفؤاد وهو الصحو وهو الأحدية وهو المعلوم وهو الجلال وهو أول فائض عن المشية مما يختص به وهو الوجود الراجح فيما لك من الوجود الراجح المطلق وما أشبه ذلك. فكل عبارة من هذه تدلّك على مطلوبك لأنها كلها بمعنى واحد. فكيف لا يمكن بيانه والله سبحانه يقول «سَرِّيْهُمْ ءَيْتَنَا فِي الْأَفَاقِ» الآية، فأنت تفهم قوله تعالى حتى يتبيّن لهم أنه الحق وبيانه على سبيل الاختصار والإشارة أنك تمحو في وجداًتك عن حقيقتك التي هي ذاتك ونفسك الحيث والكيف واللّم والمتي والأين وفي ومن وعلى ومع ولو وما أشبه ذلك فإنها خارجة عن ذلك، مثلاً كونك في شيء ليس هو ذاتك ولا جزءاً منها وكونك على شيء وداخلًا في شيء أو خارجاً من شيء أو خارجاً منك شيء أو قريباً أو بعيداً أو ظاهراً أو باطناً أو معلوماً أو مجهولاً أو متعركاً أو ساكتاً أو ناطقاً أو صامتاً أو لابتاً أو منتقلًا أو متغيراً أو متبدلاً وما أشبه ذلك من صفات الخلق وكل هذه وما أشبهها إذا نظرتها وجدتها غيرك حتى خطابك وغيبتك وتكلّمك فإذا أنت شيء بسيط مفارق لكل ما سواك فليس كمثلك شيء بعد محو هذه السمات وما أشبهها، فإذا عرفت نفسك هكذا بقي عندك ظهور الله لك بك، فإذا نظرت ظهور الله بدون لك وبك عرفت صفة الله، وإذا عرفت صفة الله عرفت الله لأنّ الشيء لا يعرف بذاته وإنما يعرف بصفته.

عليهم السلام ظاهرين له بوصف ربه له، فإذا عرف نفسه عرف ربه. وهم الآيات التي أراها الله ذلك المؤمن في نفسه فبها عرف ربه، ولهذا قالوا عليهم السلام: «بنا عُرف الله ولو لانا ما عُرف الله».

مثال ذلك:

الصورة القائمة في المرأة عند مقابلة الشخص، إذا جردت نفسها لم تكن إلا ظهور شبح الشخص في المرأة، فتعرف الشخص بمعرفة شبحه الذي هو ظهوره لها. فمعنى أن الله يبنا إياهم في أنفسنا أي أنه يرينا أن أنفسنا شعاعهم، وظهورهم لنا بنا، وكل الخلق منهم وكل الخلق بهم ولهم وإليهم بل الخلق هم والخلق عبارة عنهم لا يسمع فيها صوت إلا صوتك.



## ما هي مراتب الوجود؟

ينقسم الوجود إلى أربع مراتب من العوالم: عالم اللاهوت - عالم الجبروت - عالم الملائكة - عالم الناسوت (عالم الملك).

### ١- عالم اللاهوت:

هو عالم النور والمقامات النورانية، وهذا العالم أول شيء خلقه الله عز وجل قبل كل شيء، ويسمى وقته بالسرمد، وهو نور الله الذي خلق منه حبيبه محمد بن عبد الله حَلَّى لِنَفْعَانَ وَقَالَ لَهُمْ ، كما قال رسول الله حَلَّى لِنَفْعَانَ وَقَالَ لَهُمْ لجابر: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر». وفي هذا العالم مقام القدرة والعظمة، يعني باطن الولاية والنبوة الذي أشار إليه مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ في حديث النورانية، قائلاً لسلمان وأبي ذر: «معرفتي بالنورانية معرفة الله ومعرفة الله معرفتي بالنورانية» وهو المقام الذي وصل إليه رسول الله حَلَّى لِنَفْعَانَ وَقَالَ لَهُمْ في معراجه وسلكه وسار في درجاته وحده بعدها خلف جبرائيل وميكائيل في مقامهما، ووقفا على حدودهما، كما قال جبرائيل للرسول حَلَّى لِنَفْعَانَ وَقَالَ لَهُمْ بعد ما زجه في النور

زّجه: «يَا مُحَمَّدُ لَوْ دُونْتَ أَنْمَلَةً لَا حَرَقْتَ أَجْنَحَتِي»،  
وهذا المقام مقام الفؤاد فوق مقام العقل قوله تعالى ﴿مَا  
كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ وهو منتهى عوالم الوجود والبرزخ بين  
الكون والإمكان، عالم قاب قوسين أو أدنى المحيط على  
سائر العوالم، والمهيمن عليها.

### - عالم الجبروت (عالم العقول):

وهو عالم العقل، والعقل هو الحامل للركن الأيمن الأعلى من العرش الذي ينحدر منه سيل الفيوضات والرزق بإذن الله عز وجل المستمد منه ميكائيل الموكيل برزق العباد من قبل الرزاق. وجاء في دعاء القنوت في صلاة العيددين: «اللهم أهل الكبرياء والعظمة، وأهل الجود والجبروت». فببياننا هذا يعرف مناسبة الجود مع الجبروت، لأن فيض الجود نازل من عالمه.

### - عالم الملائكة (عالم الأرواح):

وهو غيب هذا العالم الذي حكى الله عنه في سورة الأنعام حيث قال: ﴿وَكَذَّلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُوْقِنِينَ﴾. وقال عز وجل في آخر سورة يس:

﴿فَسُبْحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وَمِنْهُ  
يَمْطُرُ سَحَابٌ رَحْمَتَهُ عَلَى أَرْضِي الْمَلَكِ، وَيَجْرِي شَطْوَطٌ  
نَعْمَهُ، تَبَارِكْ وَتَعَالَى، نَحْوُ عَالَمَنَا.

#### ٤- عَالَمُ الْمَلَكِ (النَّاسُوتُ):

فَهُوَ هَذَا الْعَالَمُ الْمَحْسُوسُ، الْعَرْشُ الْجَسْمَانِيُّ، مَعَ مَا  
فِيهِ مِنَ الشَّمْوَسِ وَالْكَوَاكِبِ مِنَ الثَّوَابِ وَالسَّيَارَاتِ.



## في بيان الأسرار في الحديث القدسي «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخالقتُ الخلق لأشعر»

عندما قال الله تعالى «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخالقتُ الخلق لأشعر» أشار الله تعالى إلى ثلاثة

رتب:

الأولى: مقام الكنز المخفي وهو مقام الذات البحث  
المعبر عنه باللاتعّين ويعرف بما وصف نفسه به من صنعه  
وذلك صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له ولا سبيل لأحد  
من الخلق إليه إلا بذلك وأن اختلاف مراتب وصفه نفسه  
لخلقه بتفاوت لا يتناهى في الكم والكيف والعدد وهذا  
أعلى مراتب السر الذي أثمنه ولا يتحول سبحانه عن  
هذه الحال وإنما يظهر لمن أراد أن يظهر له به وبما شاء  
من آياته.

الثانية: مقام فأحببت أن أعرف وهو مقام مشيّته  
وإرادته وإبداعه و فعله وهو الوجود الراجح الذي لا أول  
له في الإمكان خلقه تعالى بنفسه وأقامه بنفسه، وفي

الدعاء: «وباسْمِكَ الَّذِي اسْتَقَرَ فِي ظُلْكَ فَلَا يَخْرُجُ  
مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ» فهو اسمه تعالى وهو ظله الذي أقامه  
فيه يعني أقامه بنفسه.

نعلم أنَّ للعرش الذي استوى عليه الرحمن برحمانيته  
فأعطى كلَّ ذي حقٍّ حقَّه اطلاقاتٌ عندهم عليهم السلام  
وأعلى ما يطلق هذا الاسم عليه هذا المقام، ونسبة هذا  
إلى الحقيقة المحمدية والولاية المطلقة كنسبة الكسر إلى  
الانكسار وهم عليهم السلام محالٌ هذا كما أنَّ الانكسار  
 محلَّ الكسر، وقد ائتمنهم على هذا السرٌّ وهو أمرُ الله  
 الذي به يعملون، فلما كان الصنع والعمل وكلَّ شيءٍ من  
 عين أو معنى حركة أو سكون لا يكون إلا بأمر الله الذي  
 هو فعلهُ ومشيَّته، وكأنوا محلَّ ذلك كُلُّه في رتبة الأكونان  
 كما قال تعالى «وَسَعْنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ» ائتمنهم عليه  
 أي على حفظهِ والقيام بموجبهِ وتأدیةِ أحكامهِ وآثارهِ إلى  
 مستحقّيها وقابلتها وقواهم به على تحمله، فليس لهم عملٌ  
 بغيره لا من أنفسهم ولا من غيرهم من الخلق ولهم يكلّفهم  
 إلاَّ به قال الله تعالى «مَا وَسَعْنِي أَرْضٌ وَلَا سَمَاءٌ وَلَا وَسَعْنِي  
 قَلْبٌ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ»، فقلب المؤمن وسعه أي وسع فعله قوله

تعالى ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فحصر تكليفهم عليهم السلام في فعله تعالى وأمره وهذا هو السر في تقديم الجار على العامل في قوله تعالى ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ وهذا كمال الإيثمان لهذا السر الذي منشأ كل شأن.

الثالثة: مقام فخليق الخلق لأعرف: فخلقهم صلى الله عليهم وأشهدهم خلق أنفسهم فبذلك عرفوه ووحدوه وهلله وسبحوه وحمدوه وكبروه ثم خلق الخلق على ترتيب قابلياتهم للوجود، وكلما خلق شيئاً أشهدهم خلقه وأنهى علمه إليهم أي أنهى علمه تعالى بذلك الشيء إليهم أو أنهى علم ذلك الشيء إليهم فعلى جعل الضمير في علمه عائداً إليه تعالى يراد بهذا العلم هو العلم الكوني والإرادي والقدري والقضائي والأذني والأجلي والكتابي، كلما نزل المساء إلى مقام أنهى تعالى علمه به إليهم وهكذا، وهذا العلم هو المستثنى في قول تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ فإن المستثنى منه على الظاهر ليس هو العلم الذاتي، فإن العلم الذاتي هو ذاته تعالى ولا يصح أن يقال «ولا يحيطون بشيء من ذاته إلا بما شاء» بل المراد به العلم الحادث. فهم عليهم السلام ليس لهم به

إحاطة على جهة الاستمرار والدوام، إنما هو مؤقت ينتظر  
به وقته فيحيطون به بمعنى أنهم يحيطون بما حضر وقته  
لا أنهم يحيطون به كله بحيث لا يبقى ما ينتظرون له لأنّ  
ذلك إنما يكون في المتناهي وهذا العلم الإمكانى وإن كان  
حادثاً أحدثه الله تعالى بنفسه ولم يكن معه في الأزل إذ  
ليس معه تعالى شيء من الحوادث إلا أنه منه يمدّ الخلق  
والخلق أبداً محتاجون في بقائهم إلى المدد لا وجود لهم  
ولا بقاء بدونه، وذلك المدد ليس قدرياً لأن القديم لا يستمدّ  
من ذاته الحادث، ولا يجوز أن يفني لأنه لو فنى فإما أن  
يبقى فإن بقي الموجود كان حينئذ مستفيناً، والحادث لا  
يكون مستفيناً في حال، وإنما أن يفني المسلمين كلهم أهل  
الشرع عليهم السلام وغيرهم مجتمعون على بقاء الجنة  
وأهلها والنار وأهلها ودوامهم إلى غاية ونهاية، فثبت بأنّ  
هذا الأمر (أي الأمر الإمكانى) ليس بمتناه أبداً وأنّ الله  
سبحانه يمدّ الخلق أهل الجنة بنعيم متجدد لا ينتاهى  
وأهل النار بعذاب أليم يتأملون به متجدد لا ينتاهى ولا  
ينقطع، ولا يأول أمرهم وحالهم إلى النعيم كما زعمه  
الصوفية المتلذذون بل كلّما طال عليهم المدى ازدادوا تلذذاً،  
 فهو تعالى يمدّ الفريقين بما يستحق كل واحد منهمما من

هذا الحادث الذي لا ينافي ولا يتنافى وهو على كل شيء قدير. وهذا العلم هو المستثنى في قوله تعالى «وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ» فما شاء من علمه يحيطون به عليهم السلام لأنه أنهى إليهم وهو علم ما كان وما يكون، «إِلَّا بِمَا شَاءَ اللَّهُ» أي أنهم يحيطون من علمه بما شاء أن يحيطوا به أو أنهم لا يحيطون بشيء مما شاء من علمه إلا بمشيئته، كما قال تعالى «عَلِمَ الْغَيْبَ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى عِنْدِهِ أَحَدًا ﴿٦﴾ إِلَّا مَنْ أَرَضَنَّ مِنْ رَسُولِي» فعلى الظاهر المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما علمه الله فإن الله أمره أن يعلمه الطيبين من أهل بيته عليهم السلام، وعلى الباطن والتأويل أن المرتضى من محمد صلى الله عليه وسلم عليّ وفاطمة والأحد عشر معصوماً من ذريتهما عليهم أجمعين السلام.

ملخص الكلام الثلاثة رب التي أشار الله تعالى في قوله «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف» هي:

**1- مقام الكنز:** هم عليهم السلام أركان مقاماته وعلماته بل هم مقاماته وعلماته وفي هذه الرتبة

وأشار الحجة عليهما السلام في دعاء شهر رجب كما ذكرته سابقاً، وكما وأشار الإمام الصادق عليهما السلام إليهم بقوله: «لنا مع الله حالات نحن فيها هو وهو نحن وهو هو ونحن نحن».

**٢- مقام فأحببت:** هم معانيه فهم علمه وقدرته وحكمه ويده ولسانه وعيشه وقلبه وأمره وغير ذلك مما ذكروه عليهم السلام، ومعنى «كونهم معانيه لأنهم معاني أفعاله كالقيام والقعود والأكل والشرب والكتابة بالنسبة إلى زيد فإن هذه معاني زيد أي معاني أفعاله.

**٣- مقام فخلاقت الخلق:** هم بيته وأبوابه التي أمر أن يؤتى منها.

#### **ملاحظة:**

عن أمير المؤمنين علي عليهما السلام قال: «نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا» يعني إلا معرفتنا: أي فمن عرفهم فقد عرف الله لأنهم معانيه وظاهره في خلقه، فهم الاسم وهو المسمى وهم المعرفة وهو المعروف وهم الحجب وهو المحتجب وهم صفتة وهو الواصف نفسه لعباده بهم.

ومعرفة رسول الله ﷺ بأنّه عبد الله ورسوله  
وحجته وعيشه الناظرة وأذنه الوعية ويده المبوطة  
وغضبه القوية وذكره الأكبر واسمه الأعز الأجل الأكرم  
وفضله العام ورحمته الواسعة وبابه الذي لا يؤتى إلا منه  
والنور المنور للأنوار والقلب الذي وسع الأقدار والأسرار  
وخيرة الجبار في جميع الأطوار.

أما معرفة الإمام عليهما السلام أنه كلما ذكر من هذه الأوصاف  
المذكورة للنبي وغيرها فإنّه شريكه فيها إلا شيئاً:

(أ) الرسالة، (ب) النبوة وما يتعلّق بها من الخواص  
التي اختصّ ﷺ وعلى علیهم السلام بها.

فقوله ﷺ : «يا علي لا يعرفك إلا الله وأنا ولا  
يعرفني إلا الله وأنت ولا يعرف الله إلا أنا وأنت»، يعني  
أنّ جميع خلق الله بعدهما لا يعرفهما كنه معرفتهما، ربما  
يستشكل البعض أنّ الأئمة (عليهم السلام) كيف لا يعرفون  
كنه جدهم وأبيهم؟! وقد ورثوا جميع ما وصل إلى محمد  
ﷺ وعلى علیهم السلام وعلى علیهم السلام.

الجواب: أنه لما كان الشيء لا يُعرف إلا بصفته إلا أن  
يكون مع المعروف في مقام واحدٍ فيعرفه به لما تقرر أن

العلم عين المعلوم، فأنت تعرف زيداً مثلاً بصفته التي في  
خيالك وتلك الصورة هي معلومك وهي علمك بزيد أي  
بصفته الانتزاعية التي هي علمك فإن اجتمعت مع زيد  
في مكان بحيث تشاهده علمته به لا بصورته الانتزاعية  
فإنها هي علمه بصورته ولو لم تجتمع معه في مقام ما  
علمت ذاته إلا بصفته لأنها هي العلم بصفته ورسول الله  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ وهو أصلهم وكذلك على عَلِيٍّ سَلَّمَ للأئمَّةِ عَلَيْهِم  
السلام وهم فروعه والفرع لا يجتمع مع الأصل ليعرفه به  
لأنَّ الأصل في المقام الأول والفرع في المقام الثاني فلا  
يعرفه بالكته وإنما يعرفه بالصفة، فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ :  
«لا يعرفك إلا الله وأنا» يعني معرفة بالكته لأنَّه في مقام  
الأصل ولا يعرفه بالكته إلا من كان في مقامه.

## المقامات الأربع

### لأهل البيت عليهم السلام

ومن أهم المقامات النورانية لأهل البيت عليهم السلام التي سجلها الشيخ أحمد الاحسائي في أسفاره المقامات الأربع لهم عليهم السلام وهي:

٢- مقام المعاني

١- مقام البيان

٤- مقام الإمامة

٣- مقام الأبواب

أدنى مقام لأهل البيت عليهم السلام هو مقام الإمامة في المقابل هو أعلى مقام للأنبياء والرسل الذين هم من أولي العزّم كما قال تبارك وتعالى لنبيه إبراهيم الخليل صلى الله عليه وعلى نبينا وأله وسلّم: ﴿ وَإِذْ أَبْتَلَنَاهُ بِرَبِّهِمْ رَبِّهِ، بِكَلَمَتِنَا فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْأِي عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾<sup>(١)</sup>.

أهل البيت عليهم السلام في هذه المقامات الأربع يمثلون كلاً من:

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

أ- الولاية الإلهية العظمى والعبودية التي كنها الربوبية:  
كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «ال العبودية جوهرة  
كنها الربوبية، فما فقد من العبودية وجد في  
الربوبية، وما خفي عن الربوبية أصيб في  
ال العبودية»<sup>(١)</sup>.

ب- ويظهر أن أمر الله تعالى الفعل والمفعول، فأمر الله:  
١- الفعل: قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ، إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ  
لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(٢)</sup> وقد يطلق هذا الأمر الفعلي على  
المشيئة وعالم الأمر وعالم المحبة وعالم الصلوح والعالم  
المطلق.

٢- المفعولي: قوله تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾<sup>(٣)</sup>.  
وقد يطلق على المصدر أو انفعال الفعل، أو عالم الفؤاد،  
أو الزيت، أو البلد الميت، أو أرض الجزر، ويطلق على  
الحقيقة المحمدية أو الوجود البرزخي بين الإمكان والكون.  
فالمظاهر لأمر الله الفعلي والمفعولي هم عليهم السلام

(١) مصباح الشريعة: ص ٧.

(٢) سورة يس: الآية ٨٢.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٧.

لذا قال الإمام الهادي عليه السلام: «والظاهرين لأمر الله  
ونهيه وعباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم  
بأمره يعملون»<sup>(١)</sup>.

#### ١- مقام البيان:

هو محض ظهور الحق تعالى لهم بهم -أي بالمعصومين الأربع عشر- فليس لجهة عبوديتهم فيه ذكر بوجه من الوجوه لاستغراق إنيتهم فيه في بحر نور الربوبية الإلهية فلا يرى فيه نور إلا نوره ولا يسمع صوت إلا صوته فهو مقام التوحيد الصرف البحث البابات ومرتبة اندكاك جبال الصفات وارتفاع حجب النسب والإضافات والشؤون المختلفة. فعلى هذا الأساس مقام البيان ليس هو موضع الرسالة أو محل الرسالة بل هم في موضع إرسال وإصدار الرسالة. وبعبارة أخرى أن هؤلاء الذين تخاطبهم بمقام البيان لا إرسال إلا منهم وبهم، فجميع الرسائلات (رسالة موسى وعيسى ونوح وإبراهيم...) تمت بهم لأنهم مثاله ووجه وليس كمثلهم شيء، وبما أنّ أصبحوا مثاله،

---

(١) الزيارة الجامعة الكبيرة.

فإنهم حملوا علمه وسره وكل الكتب فلذلك هم أرسلوها  
وأودعوها.

«وموسى الكليم لما عهدنا منه الوفاء ألبسناه حلة  
الاصطفاء» وروح القدس ذاق من حدائقنا الباكرة في  
جنان الصاقورة».

وللتوضيح هذا المقام: إن الله سبحانه وتعالى ما خلق  
الخلق إلا لمعرفته وعبادته قوله تعالى «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ  
وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ»<sup>(١)</sup>.

ومعرفة الله تعالى لا تكون إلا عن طريق آثاره وأفعاله  
كما ذكرناها سابقاً، وكل ما في الوجود الحادث هو آيات  
ودلائل تدل عليه تعالى، لكنها لا تحكي المعرفة الكاملة للله  
تعالى لأنها سبحانه ليس كمثله شيء، وهذه الآيات مركبة  
بعضها يشبه الآخر، لذا كانت هذه المعرفة المستوحاة من  
الآيات الكونية والأنفسية لا تعد معرفة حقيقة كاملة لذا  
وجب على الله تعالى في الحكمة أن يجعل من خلقه مثالاً  
دليلًا يدل عليه بحيث يكون هذا المثال ليس كمثله شيء  
يتمثله بأن ليس كمثله شيء.. وليس في الوجود شيء ليس

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

كمثله شيء عدا معرفة النفس الناطقة التي من عرفها فقد عرف الرب قول الإمام علي عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»، وهذا لا يأتي إلا بالرياضيات المشروعة والعبادات من قيام الفرض والمستحب وترك الحرام والمكروه حتى يصل إلى معرفة النفس وفيها معرفة الرب. أي معرفة المثال المُلْقى في هوية العبد وليس المقصود معرفة ذات الله تعالى لأن الذات المقدسة لا يدركها حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا المثال يحكي صفة الرب من كونه ليس كمثله شيء ليدل على أن الله تعالى ليس كمثله شيء.

هذا المثال المُلْقى في هوية العبد هو مثال مخلوق لكنه أعلى مراتب المعرفة والكمال، وهذا المثال هو من المقامات التي لا تعطيل لها في كل مكان كما قال الإمام الحجة بن الحسن أرواحنا له الفدا في دعاء رجب.

وهذا المثال المحدث يجب أن يكون أفضل وأشرف خلق الله وأقربه إلى الحق تعالى، لكي يكون معرفاً للحق تعالى بأن ليس كمثله شيء. ولن نجد في جميع الموجودات خلقاً أشرف وأفضل وأجمل من محمد وآل محمد (عليهم

السلام) لكونهم علة إيجاد الكائنات من الأرضين والسموات.

وهذا المثال في هذا المقام لا يُعرف بالأين والمتى والكم والكيف والجهة والمكان والزمان والتركيب والجسمية وغيرها من صفات التركيب والحدوث بل يعرفه بأنه ليس كمثله شيء، أي شيء لا كالأشياء المدركة بالحواس الظاهرة أو الباطنة.

فإذا وصل المكلف بالرياضيات المشروعة إلى معرفة النفس عرف ذلك المثال الدال على التوحيد الحق قوله تعالى «وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْنِيَكَ الْيَقِيرْبُ»<sup>(١)</sup> فإتیان اليقین يصل إلى معرفة ذلك المثال وهو مثال محمد وآل محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم أفضل وأشرف وأكمل مثال.

وهذا المثال هو أكبر مظهر ظهر به الحق لخلقه كي يعرفوه ويعبدوه فمن عرف ذلك المثال عرف الله تعالى ووصل إلى اليقين الذي لا يشوبه شك ولا ريب «وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينَ غَفَلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا»<sup>(٢)</sup> قال الإمام الهادي

(١) سورة الحجر: الآية ٩٩.

(٢) سورة القصص: الآية ١٥.

عليه السلام: «من أراد الله بدأ بكم ومن وحده قبل عنكم ومن  
قصده توجه بكم»<sup>(١)</sup>.

إذن مقام البيان هو مقام المثال الملقي في هويات  
الخلائق المظهر للتوحيد، الذي قال عنه الشيخ الأوحد  
أعلى الله مقامه في هذا المقام «هو المقام المسمى باثبات  
التوحيد وبالسر المقنع بالسر وحق الحق».

#### - الأحاديث التي تشير إلى بيانه:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «لا تحيط  
به الأوهام بل تجلى لها بها، وبها امتنع منها». المراد من  
هذا المقام هو إثبات التوحيد هو:

معرفة الله بصفته التي وصف بها نفسه لعباده، الذين  
أراد أن يعرفوه بها وهي صفة محدثة (أي من صفات  
أفعاله) لا تشبه صفة شيء من المخلوقات. وهي مقاماته  
وعلاماته التي لا تعطيل لها في كل مكان، من عرفها فقد  
عرف الله لأنها أمثاله وليس كمثله شيء.

---

(١) الزيارة الجامعة.

## - دعاء في شهر رجب للإمام الحجة عليه السلام:

«فجعلتهم معاذن لكلماتك<sup>(١)</sup> وأركاناً لتوحيدك<sup>(٢)</sup>  
وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان،  
يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها، إلا أنهم  
عبادك وخلقك، فتقها ورتقها بيديك بدؤها منك وعودها  
إليك».

أعْضَادُ الْخَلْقَةِ: بمعنى يخلق خلقه من شعاع أنوارهم،  
والخلائق من الأسباب والمبنيات كلمات الله، كما قال  
تعالى ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ أَسْمَهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ أي بشعاع  
أنوارهم خلق عيسى بن مرريم عليهما السلام. فهم معاذن لكلماته.  
أركاناً لتوحيدك: لأن المقام الذي لا فرق بينه (الولي  
عليه السلام) وبين الله سبحانه إلا إنه عبده، وهو ظهور  
للعبد بالعبد، وهم عليهم السلام تلك المظاهر. قول  
أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لا يُعرف الله إلا بسبيل  
معرفتنا».

(١) أعْضَادُ خَلْقَهِ (معاذن لكلماتك): يعني يخلق الله الخلق من شعاع أنوارهم  
عليهم السلام.

(٢) وَارْكَانًا لِتَوْحِيدِكِ: أي لا يُعرف الله إلا عن طريقهم.

### مثال على ذلك:

(زيد قائم)<sup>(١)</sup>: (القائم) هو ظهور زيد بالقيام، لا فرق بينه (القائم) وبين زيد إلا أنه ظهور زيد بالقيام.

القائم مُحدّث به (داخله)، وركنه القيام (أساسه) فحقيقة لهم كالقيام وظهوره على تلك الحقيقة بها كالقائم، والقائم هو المقام الذي يعرف زيداً به من عرف زيداً، أي لا يُعرف زيداً إلا بالقيام، بالمقابل أنه لا يُعرف الله إلا بتلك المقامات وهي لا تتحقق إلا بهم وفيهم. كما أن القائم لا يتحقق إلا بالقيام.

- وأياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها: لأنها وجه الله قوله تعالى ﴿فَإِنَّمَا تُولُوا فَشَّمَ وَجْهَ اللَّهِ﴾.

### لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلافك:

إذا أردنا أن نعرف زيد لا بد أن نعرفه بالمثال أو الصفة التي وصف به نفسه وهو ما ظهر لنا من هذه الأفعال والصفات.

(١) زيد القائم: هو صفة زيد، وهو ظهور زيد بالقيام وليس هو زيداً. أي نعرف زيد بالصفة والمثال الذي أحدثه، فتعرفه بما وصف به نفسه.

إذن مقام البيان أن نعرف الله سبحانه ليس كمثله شيء (لأن الله سبحانه وصف نفسه للعباد فلا يشبه شيئاً من الخلق) فنعبده ولا نشرك به شيئاً (إنك تعبده لأنك تعبد الله الظاهر لك به، حتى أنه غيبه عن نفسه وعن المخلوقات، فلا يتوجه العابد إلا إلى الذات مع أنه لا يجدها ولا يفقدها).

هذا المقام لهم حيث لا يجدون أنفسهم شيئاً ووجدوا الله ظاهراً في كل شيء (اندراك) (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) كان وحده لا يسمع فيها صوت إلا صوته.

## ٢- مقام المعاني: (سر السر، باطن الباطن- سر على سر- حق الحق)

جعلهم الله سبحانه أركاناً لتوحيده، وهم معانيه أي معاني أفعاله، فهم علمه وقدرته وحكمه وأمره وعدله وعينه وأذنه ولسانه وقلبه ووجهه ونوره ويده وعضده وكتابه وخزائنه ومفاتيح خزائنه وعيبة علمه وأسرار غيبه ومحال مشيئته وألسنة إرادته وصفاته العليا وأسماؤه الحسنى وأمثاله العليا ونعمه التي لا تُحصى. وأمره، وإذا

شتئنا شاء الله، ويريد الله ما نريده<sup>(١)</sup>. لذا ورد عن أسود بن سعيد قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فأنشأ يقول: «ابتدأ منه من غير أنأسأه نحن حجة الله ونحن بباب الله ونحن لسان الله ونحن وجه الله ونحن عين الله في خلقه ونحن ولاة أمر الله في عباده»<sup>(٢)</sup>.

كما ورد عن هاشم بن أبي عمارة قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «أنا عين الله وأنا يد الله وأنا جنب الله وأنا باب الله».

هذا مثل قوله قيام زيد وعوده وحركته وسكنه وأياديه و... فهذه معانٍ زيد<sup>(٣)</sup>. هم في هذا المقام أعلى

(١) بيان (إذا شئنا شاء الله ويريد الله ما نريده) كان واحد من أولياء الله في سفينة مع جماعة فاشتد بهم الموج، وأشرفوا على الفرق فالتجأوا إليه أن يدعوه الله، فقال ليس لي أن اعترض على ربِّي، فلما اشتد الأمر ضجوا وتضرعوا إليه فحرك شفتِيه فسكن الموج على الفور كأن لم يكن، فقال له شخص كثير الملازم له والخدمة أخبرني بأي شيء دعوت الله، فقال: إننا نترك ما نريد لما يريد، فإذا أردنا ترك ما يريد لما نريد.

(٢) بصائر الدرجات: رقم (١)، ص ٨١.

(٣) قال الشيخ الأوحد أعلى الله مقامه: روى عن جابر بن عبد الله عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: يا جابر عليك بالبيان والمعانٍ، قال: فقلت: وما البيان والمعانٍ؟ قال: قال علي عليه السلام: أما البيان فهو أن تعرف الله سبحانه ليس كمثله شيء فتعبده ولا تشرك به شيئاً، وأما المعانٍ فتحن معانٍه ونحن جنبه وبيده ولسانه وأمره وحكمه وعلمه وحقيقته إذا شئنا شاء الله ويريد الله ما نريده فتحن المثاني الذي أعطانا الله نبينا عليه السلام ونحن وجه الله الذي يتقلب في الأرض فأمامه سجين ولو شئنا خرقنا الأرض وصعدنا السماء وإن إلينا إيات هذا الخلق ثم إن علينا حسابهم.

مقامات موضع الرسالة لأنه مقام الدواة الأولى ون والقلم  
وما يسطرون، والماء الذي جعل منه كل شيء حي، والكتاب  
الأول ومفاتيح الغيب الذي لا يعلمها إلا هو.. أرض الجرز  
والزيت الذي يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار.

مقام المعاني هم معاني فيوضات الحق تعالى في الأمور  
الشرعية الوجودية والوجودية الشرعية، فهم علمه وكرمه  
وبيده الباسطة وهكذا.. فالله هو العالم وهم علمه، الله  
الكريم وهم كرمه، الله سميح وهم سمعه وهكذا..

وهم حق الحق باعتبارهم معانيه يعني علمه الذي وسع  
السموات والأرض، وحكمه على كل الخلق (الله حكيم  
وهم حكمه).

**٣- مقام الأبواب:** في هذا المقام هم المترجمون  
للفيوضات الربانية والسبحات الإلهية لجميع الخلق،  
وهم في هذا المقام باب لجميع ما يحتاج إليه الخلائق  
من وجوداتهم الشرعية وشرعياتهم الوجودية من الخلق  
والرزق والحياة والإماتة. وهم الباب المشار إليه في  
هذا الدعاء «إلهي وقف السائلون ببابك ولاذ الفقراء  
بجنابك» فمن أتى التوحيد من غير بابهم فقد ضل

ضلاًّ مبيناً قوله تعالى «وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ  
مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ أَتَقَرَّ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ  
أَبْوَابِهَا».

وقال مولانا زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ ما معناه: «لا تناموا  
بين الطلوعين فإنه وقت يوزع الله فيه الأرزاق على  
خلقه وعلى أيدينا يجريها» وإليك مثال يوضح لك حقيقة  
المسألة.

انظر إلى السراج فإن النار جعلته باباً للفيوضات  
والإمدادات التي تستحقها الأشعة فتوصل الفيض - الذي  
هو النور - إلى السراج فيترجمها السراج و يجعلها صالحة  
لأفهم الأشعة ثم يلقي إليها ما حملته النار من الوحي  
و والإلهام إلى الأشعة لأن الأشعة لا قابلية لها أن تأخذ  
الفيض من النار ولا لاحترق فلا بد أن يصل الفيض  
أولاً إلى الشعلة أو السراج ليترجمه للأشعة، فالسراج  
باب النار إلى الأشعة وباب الأشعة في الافتقار إلى  
النار فهي الواقفة السائلة بباب النار الذي هو السراج  
والفقراء اللائذة بجنبها، فلا تصدح حوائج الأشعة إلى  
النار إلا من ذلك الباب وهو باب السراج. بعد أن فهمنا  
المثال فالسائلون هم جميع مراتب الوجود من السلسلة

الطولية فهم واقفون طالبون الفيض والمدد من الله تعالى لكن عن طريق هذا الباب وهو محمد وآل محمد (عليهم السلام). كذا نجد كثيراً في الروايات المروية عن أهل العصمة (عليهم السلام) أنه لو كان العبد يصوم نهاره ويقوم ليله ويعبد ما يعبد وهو مبغض لآل محمد (علیم السلام) أكبّه الله على منخريه في نار جهنم لأنه أتى من غير الباب الذي أمر الله به قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَنَاكُمْ حَدِيثُ الْفَاشِيَةِ﴾ ١ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَلِيقَةٌ﴾ ٢ ﴿عَامَلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ ٣ ﴿تَصْلَى نَارًا حَارِمَةً﴾ ٤ ﴿تُشَقَّى مِنْ عَيْنٍ، أَنِيْقَةً﴾ ٥ ﴿لَيَسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعَةِ﴾ ٦ ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ ٧ (١) هذه الآية نزلت في حق نواصب آل محمد (عليهم السلام).

يقول الشيخ أحمد الأحسائي في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة (٢) «مرتبة الأبواب ومعرفة حقهم فيها أن يعلم أنهم أبواب الله التي منها يؤتى في سائر العبادات والدعوات والمناجاة وطريق قبول الأعمال وفيها يؤتى عباده ما يشاء من خلق ورزق وحياة وممات في خيبهم وشهادتهم وفي ذواتهم وأحوالهم وأقوالهم وأفعالهم

(١) سورة الفاشية: الآية ١-٧.

(٢) شرح الزيارة الجامعة: ج ٢، ص ٣٠.

وأعمالهم وما منه صادرون وإليه صائرُونَ فَلَا يَخْرُجُ  
مِنَ الْخَزَائِنِ خَارِجٌ وَلَا يَصْعُدُ إِلَيْهَا صَاعِدٌ إِلَّا مِنْهُمْ وَبِهِمْ  
فَهُذَا وَمِثْلُهُ مِنْ مَرْفَتِهِ وَاعْتِقَادِهِ حَقُّهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ  
فِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ».

#### ٤- مقام الإمامة: وهو الحق وهو الظاهر والسرّ المستتر.

وهو مقام قبول الآثار الصادرة عن المبدأ، فهم (عليهم السلام) في هذا المقام مطارح أشعة الفيوضات الربانية والظهورات الإشرافية ومهابط الوحي ومعادن الرحمة ومختلف الملائكة وهو مقام القطبية ومرتبة فرض الطاعة، وكونهم أمناء الله على ما أنزل من عذر أو نذر، وفي هذا المقام تتعدد مراتبهم وتختلف أسمائهم وتتفرق ظهوراتهم ويجري ما يجري على الخلق وهو مقام «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ»<sup>(١)</sup> ويأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون منه وفي هذا المقام ينزل عليه حَمَّى الْقَعْدَةِ وَالْعَدَدِ الْمُكَبَّلِ الْوَحْيُ من الله سبحانه بواسطة جبرائيل وميكائيل

(١) سورة الكهف: الآية ١١٠.

وغيرهما من الملائكة وفي هذا المقام هم مختلف الملائكة  
تأتيهم وتخبرهم بما كان وما يكون إلى يوم القيام.

فهم في هذا المقام يأخذون الفيض منهم إليهم، أي من  
عقولهم الشريفة إلى صدورهم الطاهرة (هذه بضاعتنا  
رُدت إلينا).

يقول الشيخ أحمد الأحسائي في هذه المرتبة (ظاهر  
الإمامية وحقّهم في هذه المرتبة فرض طاعتهم والاقتداء  
بهم والرد إليهم والأخذ عنهم والتسليم لهم وتفضيالهم على  
من سواهم وإن لا يسُوئ بهم غيرهم في نسب ولا حسب  
ولا علم ولا شجاعة ولا كرم ولا تقوى ولا زهد ولا صلاح  
ولا ديانة ولا عبادة ولا إخلاص ولا قرب منزلة من الله ولا  
في شيءٍ من محسن الأحوال والأفعال ومكارم الأخلاق  
لانبي مرسل ولا ملك مقرب ولا مؤمن ممتحن وإن كل ما  
نسب إلى غيرهم من المحسن والمكارم والصفات الحميدة  
فإنما هو ذرّة من تيار متلاطم بحار ما أتوا من الفضائل  
كيف وقد سُئل يحيى بن إيثار أبا الحسن العالِم عَلَيْهِ السَّلَامُ عن  
قوله تعالى ﴿سَبَعَةُ أَبْجُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup> ما هي؟

(١) سورة لقمان: الآية ٢٧.

فقال: هي عين الكبريت وعين اليمين وعين البرهوت وعين  
الطبرية وجمة ما سيدان وجمة افريقيا وعين ناجروان،  
ونحن الكلمات التي لا تدرك فضائلنا ولا تستقصى.

الحاصل حقّهم أن تعتقد أنّهم أولياء الله على جميع  
خلقه وأوصياء رسول الله ﷺ لنوره طيبة ونوره خلائقه على أمته  
والقوام بدينه بعده وحفظة شريعته القائمون مقامه في  
كل شيء أقامه الله فيه لخلقه ما عدا النبوة<sup>(١)</sup>.

فهم عليهم السلام موضع الرسالة في الأحوال الثلاثة  
كل مقام بحسبه بخلاف المقام الأول فإنه لا يصلح  
للموضعية إذ ليس قبله إرسال. وموضع الرسالة هو محمد  
ﷺ لنوره طيبة طينته واعتدال قابلية واستقامة  
سيرته وصفاء سريرته وعظم مسارعته إلى طاعة ربّه،  
حتى أنه تفرد في هذه الصفات عن جميع ما خلق الله إلا  
ابن عمه علي بن أبي طالب عليهما السلام ولبنيه الأئمة الطاهرين  
عليه وعليهم السلام أجمعين.

(١) شرح الزيارة الجامعة: ج ٢، ص ٣٠.



**العلل الأربعـة في خلق المخلوقات**  
**هم الأئمة عليهم السلام**  
**وليس الذات البات**

خلق الله الأئمة عليهم السلام أول الخلق وحدهم  
ليس معهم خلق، يعبدون ويسبحونه ويحمدونه وبهالونه  
ويكبرونه ويعظّمون جلاله وعظمته ألف دهر ثم خلق لهم  
الخلق من أشعة أنوارهم.

فكانوا هم العلل الأربعـة في خلق الخلق الفاعلية المادية  
والصورية والغائية فهم:

**١- العلة الفاعلية:** لأنهم في ذلك محال مشيئة الله  
بمعنى أن الله سبحانه اطلعهم على ما خلق فوجودهم  
شرط لإيجاد غيرهم، لأنهم الوسائط بين الله وخلقه،  
وإن كان تعالى قادراً على الإيجاد بدون توسط الأسباب  
والآلات إلا أنه عز وجل جرت عادته أن يجري الأشياء  
على ترتيب أسبابها ليعرف العباد الدليل على معرفة ما  
يريد منهم قوله تعالى ﴿يَتَأْيِهَا النَّاسُ إِنْ كُثُرُ فِي رَيْبٍ مِّنَ  
الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلْقَةٍ ثُمَّ مِنْ

مُضَغَّةٌ مُخْلَقَةٌ وَغَيْرُ مُخْلَقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ<sup>(١)</sup>. فإنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا يُخْلِقُ عَلَى الْعُلَلِ لِيُعْرِفَ لِعَبَادَهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلِيُسَمِّي الْقَصْدَ هُنَّا بِالْعُلَلِ الْفَاعِلَيْةِ إِنَّهُمْ هُمُ الْخَالِقُونَ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ أَنْ يُشَارِكَهُ فِي خَلْقِهِ عَلَوْا كَبِيرًا، قَوْلُهُ تَعَالَى «هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُوْفٌ مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ»<sup>(٢)</sup> فَإِطْلَاقُ الْعُلَلِ الْفَاعِلَيْةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَجَازٌ، لَا إِنَّهُمْ فَاعِلُونَ لِلأَشْيَاءِ حَقِيقَةً، فَهُمْ مَحَالُ الْمُشَيْئَةِ الَّتِي هِيَ الْعُلَلُ الْحَقِيقَةُ لَا غَيْرَهَا.

فَلَيْسَ هُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الْفَاعِلُونَ الْخَالِقُونَ وَالرَّازِقُونَ بَلَّ اللَّهُ هُوَ الْخَالِقُ وَالرَّازِقُ وَالْفَاعِلُ لِمَا يُشَاءُ وَحْدَهُ عَزُّ وَجَلٌ إِلَّا أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ لَا يَفْعُلُ شَيْئًا بِذَاتِهِ لِتَنْزِهِهِ وَتَكْرَمِهِ عَنِ الْمُبَاشَرَةِ، فَجَعَلَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ السَّبَبُ الْأَعْظَمُ لِوُجُودِهِ هَذَا الْعَالَمُ كَمَا جَعَلَ الْمَلَائِكَةُ الْمُدَبَّرَاتُ الْجُزَئِيَّةُ كَعَزْرَائِيلَ جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَبًا لِلْلُّوْفَاءِ، وَاللَّهُ سَبَّحَانَهُ هُوَ الْمَتَوْفِيُّ وَالْمَمِيتُ وَجَعَلَ مِيكَائِيلَ سَبَبًا لِلْأَرْزَاقِ الْعَبَادِ وَاللَّهُ سَبَّحَانَهُ هُوَ الرَّازِقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمُتَّيْنِ، وَجَعَلَ الْمَلَكَيْنِ الْخَلَاقَيْنِ فِي رَحْمِ الْمَرْأَةِ سَبَبًا لِخَلْقِ الْوَلَدِ وَاللَّهُ سَبَّحَانَهُ هُوَ الْخَالِقُ وَحْدَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى

(١) سورة الحج: الآية ٥.

(٢) سورة لقمان: الآية ١١.

﴿أَللّٰهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمْسِكُمْ ثُمَّ يُحِبِّيكُمْ  
هَلْ مِنْ شُرَكَاءِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾<sup>(١)</sup> ومع ذلك قد نسب سبحانه الفعل  
إلى الأسباب أيضاً مجازاً، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ  
يُثْوِقُكُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وَكَلَّ بِكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

**- العلة المادية:** <sup>(٣)</sup> لأن جميع الخلق من الأنبياء إلى  
الجمادات خلقو من شعاع أنوارهم سلام الله عليهم، على  
هذا الترتيب، يعني خلق الله سبحانه من شعاع نور محمد  
وآله الأنبياء ومن شعاع نور الأنبياء مؤمني الإنس، ومن شعاع  
نورهم مؤمني الجن، ومن شعاع نورهم الملائكة، ومن شعاع  
نورهم مؤمني الحيوانات ومن شعاع نورها مؤمني النباتات

(١) سورة الروم: الآية ٣٩.

(٢) سورة السجدة: الآية ١١.

(٣) قال الشيخ الأحسائي (ق.س): «إنهم عليهم السلام العلة المادية، وكل  
مكون إنما خلق من فاضل أنوارهم، لأن فاضل أنوارهم (أي شعاعهم)  
هو الوجود المقيد الذي خلق منه مادة كل مكون، وهذا معنى قول الحجة  
عليه السلام في دعاء شهر رجب: (أعضاد) يعني: أن الله اتخذهم أعضاداً  
لخلقه، أشار عليه السلام بذلك إلى مفهوم قوله تعالى: «وَمَا كنْتُ مُتَخَذِّلَ المضلين  
عَضْدًا» سورة الكهف/٥١، يعني: أنني إنما اتخذت الهادين عضداً (صلى  
الله عليهم)، وهو عضد الحق، كما اتخذ النجار الخشب عضداً لعمل  
السرير.

ومن شعاع نورها مؤمني الجمادات هذا في المؤمنين، أما كفار الطبقات غير الأنبياء والملائكة، خلقت مادة كفار كل طبقة منها من عكس شعاع مؤمني تلك الطبقة ويسمى **الشيخ الأوحد** (ق.س) هذا الترتيب (بالسلسة الطولية) ويعرفها بأنها هي: التي يكون شعاع العالى مادة للسافل، وبالجملة فالمؤمن من كل مرتبة خلق من شعاع نور العالى، وشعاع نور العالى مادة السافل على الترتيب السابق من الحقيقة المحمدية عليه السلام إلى الجمادات، وأما الكافر من كل مرتبة من الإنسان إلى الجماد خلق من عكس وهو الشعاع المرتبة كالسراج له نور وظلمة، خلق من النور وهو الشعاع المؤمن، ومن الظل الكافر. **أما مرتبة المعصومين** عليهم السلام لما كانت نوراً صرفاً، لم يكن معه ظل ولا ظلمة بوجه **﴿يَكَادُ زِيَّهَا يُضِيَّهُ وَلَوْ لَفَتَمَسَّهُ نَارٌ﴾** لم يكن في المرتبة السافلة منهم كفار بل كان كلها أنبياء ورسل، إذن فالمراد من كونهم علة مادية لأن جميع الموجودات خلقهم الله من شعاع أنوارهم عليهم السلام لا إنهم مادة كل شيء قول الإمام بقية الله (عج): «اللهم إن شيَّعتنا منا، خلقوا من فاضل طينتنا وعجنوا بماء ولا يتنا».

### ٣- العلة الصورية : <sup>(١)</sup> لجميع المخلوقات من الأنبياء

إلى الجمادات من مؤمني الطبقات وكفارها بأن الله عز وجل خلق صور وهيئات جميع المخلوقات على مقتضى إجابتهم وإنكارهم ولالية الأئمة الظاهرين، لما خاطبهم «بأنست بربكم ومحمد نبيكم وعلى والأئمة من ولده وفاطمة الصديقة أوليائكم» فمن إجابة سبحانه بالإقرار والاعتراف والتصديق بهم وبولايتهم عليهم السلام خلق بصورة حسنة وهيئه طيبة وظاهرة، ومن أنكر وجدتهم وعادهم، خلق بصورة خبيثة وهيئه قبيحة، فهم علة وسبب للصور الحسنة الطيبة والخبيثة القبيحة، بقبول ولايتهم وإنكارهم، ونجد ذلك في الحلاوة الموجودة في العسل والسكر والتمر (رشحه من حلاوة أفعالهم وأقوالهم) وبقبولها ولايتهم عليهم السلام حللت وإلا كانت أمر من العلقم، كذلك الصفاء

(١) وهم العلة الصورية، لأن الله سبحانه خلق صور المكونات من أشباه صورهم، يعني: صور أمثالهم ومقاماتهم في أعمالهم وأقوالهم عن باطنهم الذي فيه الرحمة، وأتباعهم صبغوا في هذه الهياكل الشريفة، التي هي صبغ الرحمة الذي إليه أشار جعفر بن محمد عليهما السلام في قوله: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نُورٍ، وَصَبَّغَهُمْ فِي رَحْمَتِهِ» (بصائر الدرجات: ص ٨٠). فهذا النور هو المادة الذي هو الفاضل، والصبغ هو هذه الهياكل. (شرح الزيارة الجامعة: ج ٤، ص ٧٨).

والبهاء الموجود في الالماس والبلور فرع صفاء أقوالهم  
وفاضل بهاء أعمالهم.

**٤- العلة الغائية للموجودات لأن الأشياء خلقت لأجلهم**  
وكما أن الله سبحانه إنما خلق الخلق لهم وإيا بهم إليهم  
وحسابهم عليهم، ومع ذلك نتبرك بذلك بذكر بعض الأخبار  
الظاهرة كالحديث القدسي الموجه لنبينا ﷺ : «خلقتك  
لأجلِي، وخلقت الأشياء لأجلِك»، كذلك الحديث:  
«لولاك، لما خلقت الأفلاك»، وخط أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَام  
معاوية (لعنه الله) : «أما بعد: فأنا صناع ربنا، والخلق  
بعد صناعي لنا»، وخبر الصادق عَلَيْهِ السَّلَام: «نحن صناع  
الله، والخلق بعد صناعي لنا»، وغيرها من الأحاديث.

## بعض الآراء التي خالفت فكر ومنهج الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي أعلى الله مقامه

المنهج الذي اتبعه الشيخ أحمد الإحسائي (ق.س) منهج أهل البيت عليهم السلام حيث اعتمد على استنباط الأحكام العقائدية الإمامية من الكتاب والسنة المطهرة، مما وافقهما آخذ به وما خالفهما رمى به عرض الحائط.

فالشيخ قدّ أئمته في كل شيء، بحيث أنه جعل عقله تابعاً لكتاب والسنة، لا الكتاب والسنة تابعان لعقله، أما غير الشيخ فأغلبهم قدّروا حكماء اليونان وتشريع عقولهم وحدها. ومن الآراء التي خالفت الشيخ الأوحد (ق.س) :

### أولاً: في مراتب التوحيد:

بعد أن علمنا أن الله واحد في أربعة مراتب لا شريك له فيها وهي:

١- لا شريك له في ذاته قوله تعالى «لَا تَنْخِذُوا إِلَهَيْنِ  
أَثَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَحْدَهُ» (١).

(١) سورة النحل: الآية ٥١.

٢- لا شريك له في صفاته قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ،  
شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ <sup>(١)</sup>.

٣- لا شريك له في صنعه قوله تعالى ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ  
فَأَرُوفُ مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ <sup>(٢)</sup>.

٤- لا شريك له في عبادته قوله تعالى ﴿فَنَّ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ  
رَبِّهِ، فَلَيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشَرِّكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ <sup>(٣)</sup>.

هذه المراتب التي ذكرت خالفها بعض المنتحلين للتوحيد  
الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم  
يحسنون صنعاً.

١- من خالف أنه واحد في ذاته هم المشركون وال المسيح  
حيث قالوا بثالث ثلاثة وغيرهم ممن يجعل مع الله  
إله آخر.

٢- من خالف أنه واحد في صفاته هو «الأشعرى» حيث قال  
بزيادة الصفات ومجايرتها وقدمها، ومن قال بهذا  
فقد أشرك بالله تعالى لأنه يلزم تعدد القدماء» بمعنى

(١) سورة الشورى: الآية ١١.

(٢) سورة لقمان: الآية ١١.

(٣) سورة الكهف: الآية ١١٠.

أن الصفات الذاتية غير الذات البات بأنها مستقلة عنه تعالى.

٢- ومن خالف أنه واحد في صنعه، هم المفوضة والغلاة حيث ادعوا الله شريكاً في صنعه على جهة الاستقلال، فمن قال بأن أحد الأنبياء أو الأوصياء له استقلال في صنع أو فعل بدون الله، فقد أشرك في الله تعالى. وأما إذا كان الفعل والخلق مثلاً بإذن الله تعالى فلا مخالفة في ذلك لأن نبي الله عيسى عليه السلام على نبينا وآله وعليه السلام قد خلق بإذن الله تعالى قوله تعالى ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهْيَأَهُ الطَّرِيرَ بِإِذْنِي﴾<sup>(١)</sup> كذلك محمد وآل محمد عليهم السلام حيث يفعلون ما يفعلون من الأمور العجيبة والمقامات النورانية بإذن الله تعالى بدون استقلال عن إرادته بل هم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

٤- ومن خالف أنه واحد في عبادته هم عبدة الأصنام حيث عبدوهم لتقربهم إلى الله تعالى زلفى كما أن وحدة الله تعالى غير وحدة خلقه تعالى لأنه لا ثانٍ معه فهو الواحد الأحد.

(١) سورة المائدة: الآية ١١٠.

كما قال الإمام الباهر عليه السلام: «الْأَحَدُ الْفَرِدُ الْمُتَفَرِّدُ، وَالْأَحَدُ الْوَاحِدُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَهُوَ الْمُتَفَرِّدُ الَّذِي لَا يُنْظَرُ لَهُ، وَالتَّوْحِيدُ إِقْرَارُ الْوَحْدَةِ وَهُوَ الْأَنْفَرَادُ، وَالْوَاحِدُ الْمُتَبَاهِنُ الَّذِي لَا يَنْبَعِثُ مِنْ شَيْءٍ وَلَا يَتَحَدُّ بِشَيْءٍ وَمِنْ ثُمَّ قَالُوا: إِنَّ بَنَاءَ الْعَدْدِ مِنَ الْوَاحِدِ وَلَا يُنْسَى مِنَ الْعَدْدِ لِأَنَّ الْعَدْدَ لَا يَقْعُدُ عَلَى الْوَاحِدِ بَلْ يَقْعُدُ عَلَى الْاثْنَيْنِ فَمَعْنَى قَوْلِهِ: اللَّهُ أَحَدٌ: الْمُعْبُودُ الَّذِي يَأْلِهُ الْخَلْقُ عَنْ إِدْرَاكِهِ وَالْإِحْاطَةِ بِكَيْفِيَّتِهِ فَرِدٌ بِإِلَهِيَّتِهِ، مَتَعَالٌ عَنْ صَفَاتِ خَلْقِهِ»<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: في تنزيه الحق جل جلاله:

اهتم الشيخ الأوحد (ق.س) بتنزيه الحق عن بعض الشبهات الموجهة من بعض الفلاسفة، وقد أكد أنه يجب أن يكون أمر التوحيد من وحي يوحى بحيث لا يتطرق إليه الخطأ والزلل حتى لا ينحرف الشخص عن الجادة الصحيحة مثل ما انحرف قائد الصوفية الكبير محي الدين بن عربي الذي يعتقد بوحدة الوجود<sup>(٢)</sup>، في كتابيه

(١) كتاب التوحيد: ص. ٩٠.

(٢) حيث أنه يعتقد أن جميع المخلوقات من الجن والإنس والملائكة والحيوانات والنباتات والجمادات، كانت كامنة في الذات كمنون الشجر في النوى، وأن الأشياء كانت مندرجة في غيب ذات الله كأندرج اللوازم في المزومات ثم خرجت من الذات إلى ساحة الإمكان كما يخرج الشجر من النوى ويخرج نور الشمس من ذات الشمس.

المشهورين فصوص الحكم والفتوحات المكية وأكَد على أن الحق تعالى يتجلَى لخلقه بذاته المقدسة لأن المخلوقات هي عبارة عن مرايا لتجليات الله تعالى، بقوله: «وقد كان الحق أوجَد العالم كله وجود شبح مسوٍ لا روح فيه، فكان (العالم) كمراة غير مجلوة، ومن شأن الحكيم الإلهي أنه ما سوٍ محلًا إلا ولا بد أن يقبل روحًا إليها عبر عنه بالتفخ فيه وما هو إلا حصول الاستعداد في تلك الصورة المسوأة لقبول الفيض المتجلِي الدائم الذي لم يزل ولا يزال»<sup>(١)</sup>.

**نلاحظ أولاً:** من خلال كلماته أنه مثل الله تعالى بالشخص والخلق بالمرايا، وهذا التمثيل والكلام يؤدي إلى الانفصال والعزلة بين الحق وخلقه والمعروف أنه لا توجد عزلة بين الله وخلقه بل بين الله ومخلوقاته بینونة صفة لا عزلة ففعل الله تعالى موصوف والخلق صفتة.

**ثانياً:** يلزم من هذا الكلام أن يكون الحق تبارك وتعالى في جهة ومكان والله ليس في جهة ولا يحويه مكان، لأنَّه

(١) شرح فصوص الحكم للقيصري: ص ٦٣ (منقول من كتاب فكر ومنهج).

هو الذي أوجد الجهة والمكان والزمان فلا يجري عليه ما هو أجراء، فهو تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، بلا لا يحيطون به علماً كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة (الخطبة الأولى) :

«فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حبه، ومن حبه فقد عذبه، ومن قال «فيهم» فقد ضمّنه، ومن قال «علام؟» فقد أخلى منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده».

تعالى عما يقولون علواً كبيراً وأمثالهم وعباراتهم وأشعارهم مشحونة بذلك قول شاعرهم:

أنا ذلك القدس في قدس العماء محجب  
أنا قطب دائرة الراحة وأنا أعلى المستوّع  
أنا ذلك الفرد الذي فيه الكمال الأعججُ

- إلى أن قال:

الله ربِّي خالقُ وبريق خلقي خلْبُ

- إلى أن قال:

أَنْ أَغْفِرُ وَالْمَذْنُوبُ

- وقال آخر:

وَمَا النَّاسُ فِي التَّمَثَّالِ إِلَّا كُثُلْجَةٌ

وَأَنْتَ لَهَا الْمَاءُ الَّذِي هُوَ نَابُعُ

وَلَكَنْ يَذْوَبُ الشَّاجُ بِرْفَعُ حُكْمِهِ

وَيَوْضَعُ حُكْمَ الْمَاءِ وَالْأَمْرِ رَوْاقُ

- ومثله ما ذكره ابن الاعرabi في فصوصه قال:

فَلَوْلَاهُ وَلَوْلَانَا مَا كَانَ الَّذِي كَانَ

فَإِنَّا أَعْبُدُ حَقًا وَإِنَّا اللَّهُ مَوْلَانَا

وَإِنَّا عَيْنُهُ فَاعْلَمُ إِذَا مَا قِيلَ إِنْسَانًا

فَلَا تُحْجِبْ بِإِنْسَانٍ فَقَدْ أَعْطَاكَ بِرْهَانًا

فَكُنْ حَقًا وَكُنْ خَلْقًا تَكُنْ بِاللَّهِ رَحْمَانًا

وَغَذُّ خَلْقَهُ مِنْهُ تَكُنْ رُوحًا وَرِيحَانًا

فأعطيناه ما يبدو به فينا وأعطانا  
فصار الأمر مقسوماً بإيّاه وإيّانا  
إلى آخر مما يذهبون إليه من وحدة الوجود فهو باطل  
بل هو كفر بالله.

- دليلهم:

«أن معطى الشيء يلزم أن لا يكون بالذات فاقداً  
للبشارة»، هذه العقيدة لا نعتقد بها لأنها يوجب الكفر  
والزندقة.

- الرد على هذه العقيدة هو:

أن الله سبحانه وتعالى صمد جل جلاله ومعنى الصمد  
كما فسره الله تبارك وتعالى في سورة التوحيد أنه سبحانه  
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ومعنى لم يلد ولم يولد  
لا يختصر بالولادة المعروفة عند الناس بل معناه أوسع  
وأعم حيث يشتمل جميع أنواع المولدات الكونية والإمكانية  
كما يستفاد من حديث الحسين سيد الشهداء سلام الله  
عليه وأله حيث قال عليه السلام: لم يخرج منه شيء كثيف  
كالولد وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين، ولا

شيءٌ لطيفٌ كالنفس، ولا يتشعب البدوات كالسنة والنوم، والخطرة والهم، والحزن والبهجة، والضحك والبكاء، والخوف والجوع، والشبع... تعالى أن يخرج منه شيءٌ وأن يتولد منه شيءٌ كثيفٌ أو لطيفٌ، فينتتج من كلامه أن معنى (الحمد الذي لم يلد ولم يولد) أنه وجوده جل وعلا منزه عن أن تكون أفعال وصفات وحالات وحتى ذوات المخلوقات خارجة منه، كلام إمامنا الحسين عليه السلام دليل قاطع ومحكم في رد القائلين «بوحدة الوجود» أو «وحدة الموجود» أو «الاشراك» فإن أغلبهم يعتقدون أن جميع الكائنات ذاتاً وفعلاً وصفة موجودة في ذات الحق سبحانه ثم خرجت من الذات إلى عالم الإمكان ثم الكون وبعد ستعود إلى ذات الله العلي «تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فسبحانه عما يصفون» وهم يستندون في إثبات توهماً منهم التي أوهن من بيت العنكبوت بهذه الآية المباركة: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَجُعُونَ﴾<sup>(١)</sup> ويقولون أن الآية المباركة تعني أننا نخرج من الذات الإلهية وثم نعود إليها مرة ثانية.

هذا الرأي باطل من جميع الجهات، أولاً: فسروا الآية الكريمة طبق آرائهم والتفسير بالرأي حرام وأساس

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٦.

الضلal وطريق إلى النار أما أمير المؤمنين عليه السلام فسر هذه الآية قال: «إنا لله» إقرار منا بملك «جميع العوالم مملوكة لله» وقولنا: «إنا إليه راجعون» إقرار بالهلاك «يعني كل شيء هالك إلا وجهة».

### ثالثاً: من الآراء التي خالفت الشيخ هو تقسيم الوجودات:

عند الفلاسفة والمناطقة المتقدمين والتأخرین تقسيم الوجود إلى:

- ١- واجب الوجود: وهو وجود الحق.
- ٢- ممکن الوجود: وهو وجود ما سوى الله.
- ٣- ممتنع الوجود: وهو شريك الباري الذهني.

أما الشيخ الأوحد (ق.س) يرى خلاف هذا التقسيم وما هو عليه (اعلم أن الذي يعبر عنه عند الطلب معرفة الوجود، يعني إذا أراد رسمه بشيء يعرف به عند الطلب سواء كان رسمه أو بتعريف عنوانه كما في الواجب، لأن المجهول المطلق والواجب الحق لا يعرف إلا بما وصف به نفسه، وإذا وصف نفسه كان ذلك الوصف من جملة

مخلوقاته وهو تعالى لا يُعرف بمخلوقاته ولا بشيء من صفاتهم).

الشيخ يقسم الوجود إلى ثلاثة أقسام:

١- صانع وهو الواجب تعالى.

٢- صنع وهو فعله.

٣- مصنوع وهو ما سوى الله سبحانه من مصنوعاته.

فرأى الشيخ أحمد الإحسائي أعلى الله مقامه في وجود الحق لا كما ذهب إليه الفلاسفة من جعل وجود الحق قسيماً لوجود الممكن والممتنع. فوجود الحق تبارك وتعالى عند الشيخ إنما ذلك على العنوان والظهور والتجلی للحق، أما وجوده الذاتي فلا يكون داخلاً في التقسيم لذا قال سواء كان لذاته كما في الممكن أو لعنوانه كما في الواجب. فإذا طلاق لفظ الوجود على الله تبارك وتعالى يقع على العنوان والظهور من الآيات في الآفاق والأنسوف قوله تعالى «سَرِّيْهِمْ ءَايَتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ»<sup>(١)</sup>.

وعلى ذلك لا يكون وجود الحق داخلاً في التقسيم،

(١) سورة فصلت: الآية ٥٢.

من تقسيم الوجودات إلى واجب الوجود وممكناً الوجود وممتنع الوجود وذلك لعدم وجود جهة جامدة بين القديم والحدث.

#### رابعاً: بطالة الاشتراك المعنوي:

هو اشتراك شيئاً أو أشياء في مفهوم واحد معنوي، كاشتراك الاسم والفعل والحرروف في مفهوم واحد وهي الكلمة.

ومن جملة الفلاسفة الذين يعتقدون بالاشتراك الوجود بين الحق والخلق من الناحية الاشتراك المعنوي هو الحكيم، السبزواري وهو أعظم الحكماء ولقب بخاتم الفلسفه. وله أدلة في منظومته تثبت اشتراك الوجود بين الحق والخلق من الناحية الاشتراك المعنوي ومن جملة هذه الأدلة:

١- يعطي اشتراكه (اشتراك الوجود معنى بين الحق والخلق) صلواح المقسم. بأن يقسم الوجود إلى وجود الواجب (ذات الله) وجود الممكن (الخلق)، وجود الخلق (الممكن) ينقسم إلى وجود الجوهر وجود العرض وهذا...

والقسم يكون مشتركاً بين الأقسام. وهذا الدليل أو الاستدلال باطل:

- أ- (يعطى اشتراك صلوج القسم) أي يجب أن نعتقد بوجود قسم خارج الأقسام ومشترك بين الأقسام مثل تقسيم الكلمة إلى الاسم والفعل والحرف فالكلمة مشتركة بين الاسم والفعل والحرف بالاشتراك المعنوي وهي بنفس الوقت خارجة ومسطرة على الأقسام. ومن هذا الفرض يلزم فرض الاشتراك المعنوي بين الحق والخلق وجود قسم خارج عن الحق والخلق وأن لا يكون واجباً ولا يكون ممكناً وهذا محال.
- ب- يجب أن يشمل هذا القسم الواجب والممكن لأن القسم يشمل أفراده في هذه الحالة يجب أن يكون الحق مشمولاً ومحاطاً وهذا باطل لأن يستلزم حدوث الحق.
- ج- يلزم تركيب الحق من القسم المفروض وقيد الواجبية لأن الاشتراك المعنوي مركب والتركيب من صفات الحدوث.
- د- من الفرض يلزم تعدد القدماء لأن ذات الله تبارك وتعالى قديم والقسم المفروض يجب أن يكون قدماً أيضاً. وهذا يوجب الشرك.

إذن ففرض الاشتراك الحق والخلق في الوجود فهو إقرار بالشرك. لأن القائل في هذا يعترف بأن الحق مشتركاً مع الخلق في معنى الوجود وإذا كان مشتركاً في معنى الوجود فلا بد أن يكونان شريكان في الصفات الذاتية والفعلية.

٢- إدعى (إتحاد معنى العدم) بأن معنى العدم واحد بين الحق والخلق وهذا الاستدلال باطل لأسباب منها:

جعل العدم نقيض للوجود والمعروف أن التناقض لا يتحقق إلا بين وجودين. كالظلمة والنور، والليل والنهار. والظلمة والليل ليست من العدم بل مجعلون ومخلوقان والمخلوق ليس بعدم.

قال عز من قائل: ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلْمَةَ وَالنُّورَ﴾ في الآية السابقة توضيح بأن كما النور موجود كذلك الظلمة موجودة فإذا ذكر فاستدلاله باطل لأنه متخذ من آراء الفلسفه غير المسلمين وبعهضم غير موحدين. لا يصح اثبات التناقض بين الوجود والعدم لأن العدم لا شيء واللامشيء لا يحكم عليه.

٣- يعتقد السبزواري أن الحق والمخلوق في جدول

واحد مشتركين في الوجود ونحن نعلم باليقين أن الحق غير سابق ولا لاحق بالعدم وجوده مستمر وأن المخلوق مسبوق بالعدم واللاحق بالعدم. فاعتقاده باطل.

ويرد عليه الشيخ:

نحن نقول أن الله تبارك وتعالى صفاته الذاتية عين ذاته وذاته عين صفاته، ولا يمكن نفي أي صفة من صفات الذاتية لأن في حالة نفي أي صفة ذاتية فجميع الصفات الذاتية تنفي. والوجوب والوجود من صفاته الذاتية وهما عين ذاته. ففي حالة فرض نفي صفة الوجوب عن ذاته سبحانه تنفي الوجود أيضاً لأنها شيء واحد بالنسبة للذات. إذن لا يمكن نفي صفة ذاتية لأن الصفة الذاتية لا تنفك عن الذات فهو سميح بصير عليم قادر.. فهو مستجمع الصفات الكمالية.

٤- قال أيضاً: أن كل الموجودات الآفاقية والأنفسية آية الله سبحانه وتعالى وعلامته كما قال في هذه الآية ﴿سَرِّيْهُمْ ءَايَتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾. وليس بين الآية وضد الآية تبأين فإذا لم يكن تبأين يكون إذن تساوي. وبهذا الطريق يثبت على اصطلاحه إن الاشتراك ثابت بين الحق والخلق.

الرد: نعم كل ما في الوجود من المظاهر التكوينية والأفافية والأنفسية دلالات تثبت وجود الذات وليس آيات للتكشف عن الذات. فلا يوجد ربط بين الذات والمخلوقات. بل يوجد ربط بين المخلوقات وأفعاله وصفاته فكل موجود في الأفاق والأنفس آية أفعاله وصفاته الإضافية وليس لها ربط بذاته سبحانه لأن الربط بجميع أقسامه الأربع من صفات الحدوث لا تجري على ذات الواجب.

فآيات الحق تدل على الأفعال والصفات وعلى وجود الحق ولا تدل على ذاته كما يزعم الحكيم.

٥- يقول الحكيم السبزواري: أن خصمنا كأبي حسن الأشعري وكثير من معاصرينا (منهم الشيخ الأوحد) من غير أهل النظر الذين ينفون الاشتراك المعنوي حذراً من المشابهة والسنخية بين العلة والمعلول والحال أن السنخية (كسنخية الشيء والفيء) من شرائط العلية والمعلولات. قد قال بالتعطيل أي معرفة الذات وصفاته.

الرد:

أولاً: الحكيم يتهم الذين ينفون الاشتراك المعنوي بغير أهل النظر والحال هو إن أهل النظر هم الذين

يتبعون القرآن وأهل البيت عليهم السلام وليس من اتبع  
الفلسفه.

ثانياً: من ناحية دليله نقول أنه باطل لأننا نقول نحن  
لا نعرف شيئاً عن الذات والصفات الذاتية وليس لدينا  
أسباب أو علة تكشف الذات كما بناه بالدلائل العقلية  
والنقلية كما قال الإمام الصادق: «كُلُّمَا مِيزْتُمُوهُ  
بِأَوْهَامِكُمْ فِي أَدْقِ معانِيهِ فَهُوَ مُخْلُوقٌ مُثْلُكُمْ مَرْدُودٌ  
إِلَيْكُمْ».

فعقولنا معطلة عن معرفة الذات كما هي معطلة عن  
معرفته ذاتاً فنحن لا نتمكن من معرفة ذاتنا فكيف  
نتمكن من معرفة ذات الله سبحانه وتعالى، نعم معرفتنا  
إنه موجود وليس بمعادوم وأنه أقرب إلينا من حبل الوريد  
ولكن ليس لنا تكليف لمعرفة الذات. كما قال الرسول  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ».

إذن الذات أجل وأعظم بأن تكون علة للموجودات لأن  
العلة مخلوقة. قال الصادق: «كَانَ عَلِيًّا قَبْلَ خَلْقِ الْعِلْمِ  
وَالْعَلَةِ». فتحن نفي الاشتراك المعنوي بين الحق والخلق  
لأي دليل لأن الاشتراك هو تركيب للذات. (فالطريق

إليه مسدود والطلب مردود). أما معرفة صفاته الفعلية الإضافية فالطريق مفتوح. فعقولنا في معرفة مقاماته وعلاماته وأياته وصفاته الفعلية غير معطلة من جميع الجهات. بل فقط من جهة الذات معطلة. كما قال عز من

قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ، شَوَّهٌ﴾.

## بيان مقطع من حديث المعرفة

- دعاء زمن الغيبة:

«اللهم عرّفني نفسك فإنك إن لم تعرّفني نفسك  
لم أعرف رسولك، اللهم عرّفني رسولك فإنك إن لم  
تعرّفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرّفني حجتك  
إنك إن لم تعرّفني حجتك ضللت عن ديني».

المقطع السابق من دعاء زمن الغيبة، يستحب قراءته  
عند غروب الشمس ويقرأ كاملاً في آخر ساعة من يوم الجمعة لأن في هذا الوقت فيه استجابة الدعاء، ولهذا  
الحديث أهمية كبيرة كما بينه النائب الأول (عثمان بن سعيد الأṣدī عام ٢٨٠ هـ) للإمام الحجة ابن الحسن عليه السلام عندما أمر أبي محمد بن همام أن يدعوه به.

يتضمن هذا الحديث الشريف ثلاثة محاور من المعرفة  
هي: معرفة الله عز وجل - ومعرفة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
- ومعرفة الحجة (إمام الزمان عليه السلام).

وقد بدأ الدعاء بكلمة (اللهم) هذه المفردة تستند إلى  
الأصل والتي تعني (يا الله) وقد حذفت (الباء) ليشغل

مكانها (ميم) مشدّدة لتأكيد دور التعظيم والإجلال والتقديس ولتَعبُّر عن عظمة ورفة وعلو المخاطب (الله) جل شأنه تعالى مكانه وحيث وجوده يمتد من الأزل إلى الأبد وحيث لا شيء قبله ولا شيء بعده.

ومن هنا فمن غير الائق أن يتقدم على (الله) سبحانه شيء حتى لو كان مجرد حرف فهو الأول والآخر، لكي يحدث الانسجام بين الحقيقة والقوالب اللغوية التي تَعبُّر عنها وتحاول تجسيدها.

وعلى الداعي الذي يريد مخاطبة ذلك الوجود المقدس أن يدرك أنه وهو يقول (اللهم) أن الله عز وجل ل ولم يأذن له في ذلك لافتقد العاشق قدرته على التفوه بأية كلمة مع المعشوق، وإن لولا إرادة المحبوب لما كان له من القدرة على أداء الدعاء، لولا تجلّيه تبارك وتعالى في وجود عبده لما استطاع العبد أن يدعوه ويطلب منه جل شأنه حاجته.

(عرفني) السائل يطلب من الله عز وجل أن يعرفه أولاً: نفسك، ثم رسولك ﷺ ، ثم حجتك عَلَيْكَ اللَّهُمَّ ، ثم قبل أن نشرع في شرح هذا الحديث لا بد أن نعرف ما المراد بالمعرفة؟

المراد من المعرفة هو أن نعرف إن الله سبحانه موجود لأنه أوجد العالم وأنه باق لاستمرار تجدد آثاره (حيث الأثر يدل على المؤثر وهو الله) مثاله أشعة الشمس تدل على وجود الشمس.

### ١- معرفة الله:

معرفة الله سبحانه وتعالى لا تدرك، أي لا تحيط الذات الواجب لا حضوراً ولا تصوراً.

كما قال الإمام الرضا عليه السلام لأبا صلت: «إن الله تبارك وتعالى لا يُوصف بمكان ولا يدرك بالأبصار والأوهام»<sup>(١)</sup>.

وفي مكان آخر سُئل أبي الحسن الرضا عليه السلام: «أخبرنا عن الله تعالى أين كان؟ وكيف كان؟ وعلى أي شيء كان اعتماده؟» فقال عليه السلام: «إن الله عز وجل كيف الكيف فهو بلا كيف، وأين الأين وكان اعتماده على قدرته»<sup>(٢)</sup> أي على ذاته لأن القدرة من صفات ذات الله عز وجل، ولا

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص ٢٧٤.

(٢) نفس المصدر السابق: ص ٢٧٧.

تُعرف من جهة ذاته وهو المجهول المطلق، لا يعرف إلا  
بالجهل به، لعدم وجود مناسبة بين الحق والخلق مطلقاً  
قوله تعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾<sup>(١)</sup>.

ولم يكن للخلق طريق إلى معرفة الحق لا في الدنيا ولا  
في الآخرة فالأمر كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام:  
«السبيل مسدود والطلب مردود» «ولم تجعل للخلق  
طريقاً إلى معرفتك إلا بالعجز عن معرفتك»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية هشام بن الحكم عن الزنديق الذي سأله  
الإمام جعفر الصادق عليهما السلام عن الله عز وجل ما هو  
«قال: فما هو؟ قال: شيء بخلاف الأشياء أرجع بقولي  
إلى إثبات معنى، وأنه شيء بحقيقة الشيئية، غير  
أنه لا تدركه، لا وصلة ولا تنقصه الدهور ولا تغيره  
الأزمان»<sup>(٣)</sup>.

إذن لما كان الطريق مسدوداً والطلب مردوداً إلى معرفة  
ذاته سبحانه، كيف الطريق إلى معرفته عز وجل؟ لأنه

(١) سورة طه: الآية ١١٠.

(٢) مناجاة العارفين للإمام السجاد عليهما السلام.

(٣) الكافي للشيخ الكليني: ج ١، ص ٨٢.

لَم يَخْلُقْنَا إِلَّا لِلْعِرْفَةِ وَالْعِبَادَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَمَا خَلَقْتُ  
 الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾<sup>(١)</sup>، أَجَابَ الْإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ  
 عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ: «دَلِيلُهُ آيَاتُهُ وَوُجُودُهُ إِثْبَاتُهُ» أي الطِّرِيقُ  
 الْوَحِيدُ لِعِرْفَتِهِ تَعَالَى هِيَ الْأَثَارُ وَالْآيَاتُ الْمُخْلُوقَةُ مِنَ  
 الْأَفَاقِ وَالْأَنْفُسِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿سَرِّهِمْ إِيَّنَتِنَافِ الْأَفَاقِ  
 وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكُفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ  
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وَمَا امْتَنَعْتُ رَؤْيَتِهِ وَإِدْرَاكُ ذَاتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ جَعَلَ  
 سُبْحَانَهُ الْآيَاتُ الْمَطْرُوحَةُ عَلَى مَسْرَحِ الْكَوْنِ مِنَ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضَيْنِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي أَنْفُسِ الْخَلَائِقِ جَمِيعُهَا ﴿وَفِي  
 أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبَصِّرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، هِيَ الطِّرِيقُ الْوَحِيدُ لِعِرْفَتِهِ.

إِذْنُ بِوَاسْطَةِ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْأَنْفُسِ الْمُخْلُوقَةِ نَسْتَدِلُ عَلَى  
 تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَقْرَبُ الْآيَاتِ وَأَجْلَاهَا لِعِرْفَةِ الرَّبِّ عَزَّ  
 وَجَلَّ هِيَ أَنْفُسُ الْخَلَائِقِ أَيِ النَّفْسُ النَّاطِقَةُ الَّتِي أَشَارَ

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) سورة فصلت: الآية ٥٢.

(٣) سورة الذاريات: الآية ٢١، قَالَ لَهُ السَّائِلُ: فَتَقُولُ أَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، سَمِيعٌ بِغَيْرِ جَارِحةٍ وَبَصِيرٌ بِغَيْرِ آلَةٍ.

إليها أمير المؤمنين علي عليهما السلام بقوله: «من عرف نفسه فقد عرف ربها» هذه النفس المخلوقة التي هي أقرب شيء للتوحيد من بقية المخلوقات الأخرى مخلوقة من نور الله عز وجل وليس المراد من نوره والعياذ بالله من ذاته عز وجل كما يقول أصحاب وحدة الوجود<sup>(١)</sup>، بل الله سبحانه خلق نوراً شريفاً وأضافه إلى نفسه، كما أضاف البيت الحرام (الكعبة المشرفة) إلى نفسه لعظم وقداسة المضاف (الكعبة) وهذا النور هو المعبّر عنه بالوجود وجهة العبد من ربه والرؤاد، وهذا النور المخلوق الذي هو أقرب شيء للتوحيد ليس كمثله شيء من المخلوقات، ولا يدرك بشيء من المخلوقات، فمن يعرف هذا النور المخلوق يعرف الله سبحانه معرفة حقيقة عن طريق خلقه، لأن هذا النور أقرب شيء لمعرفة التوحيد لذا قال أمير المؤمنين علي عليهما السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربها». أي الذي يعرف هذه النفس المخلوقة من نور الله تعالى فقد عرف

(١) من الحكماء والصوفية وزعموا أن حقيقة الموجودات أعم من الرب والمربوبين، والخالق والمخلوقين واحد في نفس الأمر وإنما اختلفت باختلاف الصور والقابليات، ومثلوا ذات الرب سبحانه بالماء، و مختلفاً بملحوظات بالثلج، فإذا ذاب الثلج وسال رجع إلى أصله وهو الماء.

توحيد الله سبحانه بأنه ليس كمثله شيء، ولا يُعرف هذا النور المقدس إلا بالتربيـة الأخـلـاقـية المـروـيـة عن أئمـة الـهـدـى عليهم السلام، هذا النور موجود في جميع الخـلـائق إلا أن المستفـيدـ منه المؤمنـون لأنـهم هـمـ الذين يـرـوضـونـ أنـفسـهـمـ بالـتـقـوىـ، والـمـسـتـفـيدـ الأـكـثـرـ حـظـاـ منـ هـذـاـ النـورـ هـمـ المؤـمـنـونـ خـاصـةـ، فـالـذـيـ يـصـلـ إـلـىـ هـذـاـ النـورـ يـكـوـنـ عـنـدـهـ نـوـعـ مـنـ الـمـكـاـشـفـاتـ وـالـتـوـسـمـ بـالـمـغـيـبـاتـ كـمـ أـشـارـ إـلـيـهـ مـوـلـانـاـ إـلـيـمـ الصـادـقـ عـلـيـهـ سـلـامـ قـوـلـهـ «اتـقـواـ فـرـاسـةـ الـمـؤـمـنـ»ـ هـذـهـ الـفـرـاسـةـ وـالـمـكـاـشـفـاتـ بـسـبـبـ هـذـاـ النـورـ الـمـخـلـوقـ.

## ٢- مـعـرـفـةـ النـبـيـ حـلـيـ لـفـيـهـ وـقـالـلـهـ :

طالـماـ مـعـرـفـتـنـاـ لـلـهـ عـزـ وـجـلـ لـاـ تـكـوـنـ إـلـاـ عـنـ طـرـيقـ النـورـ المـقـدـسـ وـهـمـ الصـفـوـةـ المـقـدـسـةـ التـيـ خـلـقـهـاـ اللـهـ مـنـ نـورـ عـظـمـتـهـ وـجـلـالـهـ وـأـوـدـعـ فـيـهاـ جـمـيعـ الصـفـاتـ إـلـهـيـةـ الـجـمـالـيـةـ وـالـجـلـالـيـةـ التـيـ يـتـصـفـ بـهـاـ كـمـاـ هـوـ فـيـ الـحـدـيـثـ الـقـدـسيـ «كـنـتـ كـنـزاـ مـخـفـيـاـ فـأـحـبـبـتـ أـنـ أـعـرـفـ فـخـلـقـتـ الـخـلـقـ لـكـيـ أـعـرـفـ». وـفـيـ دـعـاءـ الصـبـاحـ لـأـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ عـلـيـهـ سـلـامـ: «يـاـ مـنـ دـلـلـ عـلـىـ ذـاتـهـ بـذـاتـهـ وـتـنـزـهـ عـنـ مـجـانـسـةـ مـخـلـوقـاتـهـ»ـ أـولـ هـذـهـ الصـفـوـةـ المـقـدـسـةـ هـوـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ حـلـيـ لـفـيـهـ وـقـالـلـهـ

رسوله وحجته على خلقه وعيشه الناظرة وأذنه الواعية  
ويده المبسوطة وعضده القوية واسمها الأعز الأجل الأكرم  
ورحمته الواسعة وبابه الذي لا يُؤتى إلاّ منه والنور المنور  
لأنوار وهو أول نور خلقه الله سبحانه من نور عظمته  
(أول من خلق الله نور نبيك يا جابر) ومن هذا النور  
اشتق نور علي بن أبي طالب عليهما السلام<sup>(١)</sup>، فأودع الله تعالى  
في النور الأول النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم والنور الثاني  
الولاية لعلي بن أبي طالب عليهما السلام كما قال أمير المؤمنين  
عليه السلام: «أنا من محمد كالضوء من الضوء».

وعندما سُئل النبي صلى الله عليه وسلم : بأي شيء سبقت  
الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ قال صلى الله عليه وسلم :  
إنني كنت أول من آمن بربِّي وأول من أجاب بلى عندما  
أخذ الله منا الميثاق في عالم الذر.

وما عرف الرسول صلى الله عليه وسلم حق المعرفة إلاّ الله

(١) محمد وعلى نور واحد قديم، وإنما انقسم اسمه ليمتاز النبي عن الولي  
كما امتاز الوارد عن الأحد، فكل أحد واحد ولا ينعكس وكذا كلنبي ولد ولا  
ينعكس، فلهذا لا توزن الأعمال يوم القيمة إلا بحب علي عليه السلام لأن الولاية  
هي الميزان. (مشارق أنوار اليقين: ص ٦٦).

سبحانه وعليه عَلَيْسَ إِلَّا مِنْهُ قَوْلُهُ حَلَّى لِنَفْعِنَا بِرَحْمَتِهِ فَاللَّهُمَّ : «يَا عَلِيٌّ مَا عَرَفْتَنِي حَقَّ الْعِرْفَةِ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْتَ يَا عَلِيٌّ».

طالما مقام الرسول حَلَّى لِنَفْعِنَا بِرَحْمَتِهِ فَاللَّهُمَّ هو مقام الإجمال  
فمعرفة الله سبحانه لا تأتي إِلَّا عن طريق معرفة الإمام  
لأنه في مقام التفصيل<sup>(١)</sup>.

### ٣- معرفة الإمام (اللهم عرفني حجتك):

كل زمان من بعد وفاة النبي حَلَّى لِنَفْعِنَا بِرَحْمَتِهِ حِجَّةٌ حِجَّةً<sup>(٢)</sup>،  
وحجج الله بعد الرسول حَلَّى لِنَفْعِنَا بِرَحْمَتِهِ اثنتي عشرة إماماً  
أولهم علي بن أبي طالب عَلَيْسَ إِلَّا مِنْهُ قَوْلُهُ حَلَّى لِنَفْعِنَا بِرَحْمَتِهِ أَخْرَهُمُ الْحَجَّةُ بْنُ الْحَسَنِ عَلَيْسَ إِلَّا مِنْهُ قَوْلُهُ حَلَّى لِنَفْعِنَا بِرَحْمَتِهِ.

قال رسول الله حَلَّى لِنَفْعِنَا بِرَحْمَتِهِ : «يَا عَلِيٌّ أَنْتَ النَّبِيُّ الَّذِي  
فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، بِكَ يَعْرَفُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْمُنَافِقِ، لَا يُحِبُّكَ إِلَّا  
مُؤْمِنٌ وَلَا يَبغضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ».

أمير المؤمنين علي عَلَيْسَ إِلَّا مِنْهُ قَوْلُهُ حَلَّى لِنَفْعِنَا بِرَحْمَتِهِ هو الوصي وال الخليفة بعد  
الرسول حَلَّى لِنَفْعِنَا بِرَحْمَتِهِ بعد ما أبلغه الله سبحانه في تبليغ

(١) كذا القرآن الكريم في مقام الإجمال أما السنة النبوية فهي في مقام التفصيل.

(٢) لولا الحجة لساخت الأرض بما فيها.

الرسالة لخلافة عليّ بن أبي طالب عليهما السلام ﴿ يَتَأَبَّهَا الرَّسُولُ بِلَغَّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رِبِّكَ وَإِنَّ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتْ رِسَالَتُهُ وَاللَّهُ يَعِصِّمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾<sup>(١)</sup> أي لم تكتمل الرسالة إلا بالولاية.

فالولاية هي دين الحق وسوف يُظهره الله على جميع الأديان عند قيام قائم آل محمد عليهم السلام ولو كره الكافرون بولاية علي عليهما السلام، قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كُفَّارٌ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾<sup>(٢)</sup>، وما عرف الإمام علي عليهما السلام حق المعرفة إلا خالقه والنبي صلى الله عليه وسلم ، قول النبي صلى الله عليه وسلم : « يا علي ما عرفك حق المعرفة إلا الله وأنا » علمًا أن جميع ما ذكر من أوصاف الرسول صلى الله عليه وسلم هي مشتركة مع أمير المؤمنين علي عليهما السلام فالرسول صلى الله عليه وسلم هو نفس علي عليهما السلام قوله تعالى في آية المباھلية ﴿ وَأَنْفَسْنَا وَأَنْفَسْكُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> فصفات أمير المؤمنين علي عليهما السلام هي نفس

(١) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٢) سورة الفتح: الآية ٢٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦١.

صفات الرسول ﷺ ، فكل ما ينطبق على النبي ﷺ ينطبق على عليٌّ بن أبي طالب عليهما السلام إلا الرسالة والنبوة إن عليٌّ عليهما السلام ثان للنبي ﷺ . وطال له أي خلق نور محمد ﷺ أولاً، ثم بعد ذلك خلق نور عليٌّ عليهما السلام.

إذن فمعرفة الله عز وجل تأتي عن طريق معرفة الإمام عليهما السلام كما قال أمير المؤمنين عليهما السلام في حديث النورانية عندما سأله سلمان المحمدي وأبا ذر الغفاري: كيف تعرفك حق المعرفة؟ قال عليهما السلام: «من عرفني بالنوارنية عرف الله عز وجل ومن عرف الله عز وجل عرفني بالنوارنية».

على كل مُكلف أن يعرف إمام زمانه أنه:

١- معصوم ﴿وَتَمَّا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الْجُنُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(١)</sup>، قال رسول الله ﷺ : «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقوا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تختلفون فيهما».

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢٣.

٢- أنه خليفة رسول الله ﷺ **يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بِلَغَّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتِ رسالتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** <sup>(١)</sup>.

٣- مفترض الطاعة **أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَمْرٌ مِنْكُمْ** <sup>(٢)</sup>.

• قال أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام: «إنما يعبد الله من عرف الله، وأما من لا يعرف الله كأنما يعبد غيره».

وعندما سأله السائل: أصلاحك الله ما معرفة الله؟

قال عليه السلام: يصدق الله ويصدق محمد رسول الله في موالة على عليه السلام والاتمام به وبائمه الهدى من بعده والبراءة من عدوهم.

قال: أصلاحك الله أي شيء إذا عملته أنا استكملت حقيقة الإيمان؟

قال عليه السلام: توالى أولياء الله وتعادي أعداء الله وتكون مع الصادقين كما أمرك الله.

(١) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٩.

قال: من أولياء الله ومن أعداء الله؟

قال عليه السلام: أولياء الله محمد رسول الله وعلي والحسن والحسين ثم انتهى الأمر إلى قائمهم. فمن والى هؤلاء فقد والى أولياء الله وكان مع الصادقين كما أمره الله.

قال: ومن أعداء الله أصلحك الله؟

قال عليه السلام: الأوثان الأربع (الجب والطاغوت واللات والعزى).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم من آمن بي وصدقني فليتول علي بن أبي طالب فإن ولايته ولا يتي وولا يتي ولاية الله تعالى».

• قوله تعالى «وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَيَرِيهِ يَعْدِلُونَ»<sup>(١)</sup> أي يحكمون بالحق، فمعنى الآية أن هذه الأمة هي طائفة من عباد الله يدعون إلى الحق ويحكمون

به.

وهناك روايات كثيرة في المراد من هذه الأمة ولكن نستعرض بعضها للاستفادة منها:

(١) سورة الأعراف: الآية ١٨١.

١- ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أن المراد من هذه الكلمة (الأمة) هي أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

٢- ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا افترقت هذه الأمة على ثلات وسبعين فرقة اثنستان وسبعون في النار وفرقة في الجنة وهم أنت وشيعتك لأنك لم تفارق الحق وهم لا يفارقونك فهم مع الحق».

٣- ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الفرقة الناجية أنا وشيعتي واتباع مذهبني».

روايات كثيرة عن المراد بالأمة المهم نستفيد من هذه الروايات أن الآية تشير إلى أمة واحدة ولم يُعبر عنها (أمم) هذه الأمة تدعو إلى الحق وتعمل بالحق وتحكم به وتسير بخط الإسلام الصحيح، فهنيئاً لكل من اتبع محمد وآل محمد صلى الله عليه وسلم وشاعيهم في كل شيء.

فالواجب علينا أن نعرف إمام زماننا لأن الإمام مع باقي الأنتمة وجدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هم آيات الله وبمعرفتهم نعرف الله سبحانه كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «بنا عُرف الله وبنا عُبد الله ولو لانا ما عُرف الله ولو لانا ما عُبد الله».

وقال عليه السلام: «نَحْنُ الْأَعْرَافُ الَّذِينَ لَا يُعْرَفُ اللَّهُ إِلَّا بِسَبِيلٍ مَعْرَفَتِنَا».

أي من عرفهم فقد عرف الله لأنهم معانيه فهم الاسم وهو المسمى لعدم وجود مناسبة بين الخلق والخالق وب بواسطتهم يعلمون الخلق ما يريد منهم الله سبحانه من الطاعة، فأبراهيم طريق الهدایة والإرشاد قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا أَلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد روت العامة والخاصة قول النبي صلى الله عليه وسلم : «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» كما وردت أخبار متواترة أنه لا يقبل عمل من الأعمال إلا بالولاية.

وفي الكافي، عن الحرج بن المغيرة في الصحيح قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، قال عليه السلام : نعم، قلت: جاهلية جهلاء أو جاهلية لا يعرف إمامه؟

قال عليه السلام: جاهلية كفر ونفاق وضلال.

(١) سورة الأعراف: الآية ١٨٠.

وفي العيون عن المفضل عن الصادق عليه السلام، عن آبائه  
قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما أسرى بي إلى  
السماء أوحى إلي ربي جل جلاله وساق الحديث في  
محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام  
إلى أن قال يا محمد لو أن عبداً عبدني حتى ينقطع  
ويصير كالشن البالي، ثم أتاني جاحداً لولايتهم ما  
أسكته جنتي، ولا أظللته تحت عرشي».

وعن الباهر عليه السلام: «من أصبح من هذه الأمة لا إمام  
له من الله ظاهر عادل أصبح ضالاً تائهاً، وإن مات على  
هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق».

## الخاتمة

نستفيد مما سبق أن الله سبحانه وتعالى لا يعرف بذاته قطعاً إذ لا ربط ولا مناسبة بين القديم والحادث، والمناسبة شرط بين المدرك والمدرك وأن القديم لا ينزل إلى الحادث والحادث لا يصعد إلى القديم حتى يعرفه (الطريق مسدود والطلب مردود) حتى أحب الخلق لله وهو محمد ﷺ وابن عمه علي عليهما السلام لا يعرفان ذات الله سبحانه ولكن معرفتهم لله سبحانه بصفاته وأسمائه، علماً إن الأسماء الحقيقة لله سبحانه هم عليهم السلام، اذ الاسم ما أنشأ عن المسمى كما قاله أمير المؤمنين عليهما السلام والمخبر والنبي الحقيقي عن الله سبحانه محمد وأهل بيته الطاهرون لا الأسماء الظاهرة كما ورد عنهم عليهم السلام: «نحن الأعراف الذين لا يُعرف الله إلا بسبيل معرفتنا»، «بنا عبد الله وبنا عرف الله ولو لانا ما عبد الله، ولو لانا ما عرف الله» فهم عليهم السلام أسمائه الحقيقة، وساير الأسماء المصوّة المركبة من حروف الهجاء أسماء الأسماء، ومن الواضح أن أقرب الأسماء والصفات لله سبحانه التي ظهر بهم للخلق لا بذاته هم

أهل العصمة عليهم السلام وأقر بهم من بينهم عليهم السلام هو النبي والولي صلوات الله عليهما فمعرفتهما لله سبحانه هي معرفة الله بنفسهما التي هي أقرب كل صفات الله وأسمائه إليه، وليس له سبحانه صفة واسم أقرب إليه منهم.

إذ أول ما تجلى وظهر للخلق تجلى وظهر لهما (صلوات الله عليهما) بنفسهما لا بذاته جل وعلا، ثم ظهر لسائر الأئمة عليهم السلام بهما (أي محمد وعلي) إذ هم فروع لهما وهم أصلان لهم والفرع تابع للأصل في كل شيء ثم ظهر للأنبياء بهم عليهم السلام وهكذا. إذن معرفة الأنبياء عليهم السلام وبباقيخلق إلى الجماد لله سبحانه منحصرة في معرفة الأسماء والصفات ومن عرفها عرف الله، لذا قال أمير المؤمنين عليهما السلام وجندب «أنه لا يستكمل أحد الإيمان حتى يعرفني كنه معرفتي بالنورانية فإذا عرفني بهذه المعرفة فقد امتحن الله قلبه للإيمان، ومن قصر عن ذلك هو شاك مرتاب». ثم قال: «معرفتي بالنورانية هي معرفة مقام الصفات والأسماء»، وإلى هذا المقام أشار الإمام الصادق عليهما السلام بقوله: «لنا مع الله حالات نحن فيها هو، وهو فيها

نَحْنُ، إِلَّا أَنَّهُ هُوَ هُوَ وَنَحْنُ نَحْنُ». وَإِلَى أَشَارَ أَيْضًا الحَجَةُ  
ابنُ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي دُعَاءٍ كُلِّ يَوْمٍ مِّنْ شَهْرِ رَجَبٍ بِقَوْلِهِ:  
«فَجَعَلْتُهُمْ مَعَادِنَ لِكَلْمَاتِكَ وَأَرْكَانًا لِتَوْحِيدِكَ وَآيَاتِكَ  
وَمَقَامَاتِكَ الَّتِي لَا تَعْطِيلَ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ يَعْرَفُكَ بِهَا  
مِنْ عِرْفِكَ، لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا إِلَّا أَنَّهُمْ عَبَادُكَ وَخَلْقُكَ،  
فَتَقْهَا وَرْتَقْهَا بِيَدِكَ، بَدَؤُهَا مِنْكَ وَعُودُهَا إِلَيْكَ».

هَذَا الْمَقَامُ هُوَ الْمَرَادُ مِنْ قَوْلِ عَلَيِّ بْنِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
لِجَابِرِ الْجَعْفِيِّ فِي خَبْرِ (الْخِيطِ الْأَصْفَرِ) حِيثُ قَالَ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا جَابِرُ أَوْتَدْرِي مَا الْمَعْرِفَةُ؟ الْمَعْرِفَةُ إِثْبَاتُ  
الْتَّوْحِيدِ أَوْلًَا...».

وَلَا كَانَتْ مَعْرِفَتُكَ بِذَاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُسْتَحْيِلَةً  
انْحَصَرَتْ مَعْرِفَتُكَ بِاللَّهِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْكَ فِي مَعْرِفَتِكَ بِاسْمَائِهِ  
وَصَفَاتِهِ الَّتِي هُمْ أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنَى وَصَفَاتُهُ الْعَلِيَا.

### وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

نَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى بِأَوْلِيَائِهِ الطَّاهِرِينَ صَلَواتُ اللَّهِ  
عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ أَنْ يَنْورُ قُلُوبَنَا بِالْمَعْرِفَةِ وَالْيَقِينِ، وَأَنْ  
يَبْصُرَنَا عَيْوَبَنَا وَيُوفِّقَنَا لِتَزْكِيَّةِ أَنْفُسِنَا بِفَضْلِهِ وَكَرْمِهِ  
وَجُودِهِ وَمِنْهُ وَصَلَى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ.



## الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
٧	١- الاهداء .....
٩	٢- المقدمة .....
١٥	٣- معرفة الله واجبة بحكم العقل .....
٢٣	٤- التوحيد .....
٢٧	٥- إثبات وجود الواجب تعالى شأنه .....
٣١	٦- ما هي مقامات التوحيد الأربع؟ .....
٤٧	٧- هل يوجد ارتباط بين الحق والخلق؟ .....
٥٣	٨- الذات لا تُعرف .....
٥٥	٩- «ليس للذات اسم» كيف تنفون الاسم عن الذات؟ ....
٦٩	١٠- معرفة الله على قدر معرفة آياته وصفاته .....
٧٣	١١- ما هو طريق الوصول إلى هذه المعرفة؟ .....
٧٩	١٢- كيف كانت بداية الخلق؟ .....
٨٩	١٣- من عرف نفسه فقد عرف ربه .....
٩٣	١٤- ما هي مراتب الوجود؟ .....
٩٧	١٥- في بيان الأسرار في الحديث القدسي «كنت كنزاً مخفياً» .....

## الفهرس

<u>رقم الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
١٦٥	١٦- المقامات الأربع لأهل البيت عليهم السلام .....
١٢٣	١٧- العلل الأربع في خلق المخلوقات هم الأئمة عليهم السلام وليس الذات البات.....
١٢٩	١٨- بعض الآراء التي خالفت فكر ومنهج الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي أعلى الله مقامه .....
١٤٧	١٩- بيان مقطع من حديث المعرفة .....
١٦٣	٢٠- الخاتمة .....

## المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ١- شرح الزيارة الجامعة الكبير - الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي.
- ٢- أصول الدين - الحاج ميرزا حسن الحائر الأحقاقي.
- ٣- مخازن جواهر أسرار التنزيل - المولى الميرزا حسن الشهير بكوهر.
- ٤- رسالة الملا حسن بن أمان - للعلامة السيد هاشم سلمان آل سلمان.
- ٥- التوحيد - للشيخ الصدوق (أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين القمي).
- ٦- رسالة الطبيب البهبهاني - للسيد كاظم الحسيني الرشتي.
- ٧- شرح رسالة التوحيد - الشيخ علي نقی بن الشيخ الأوحد.
- ٨- حق اليقين في معرفة أصول الدين - السيد عبدالله شبر.
- ٩- الرسائل المهمة في التوحيد والحكمة - آية الله الميرزا حسن الشهير بـ(كوهر).
- ١٠- شرح حديث عمران الصابي - السيد محمد كاظم الحسيني الرشتي.

- ١١- حروف نورانية في صحيفة الأبرار - الميرزا محمد تقى التبريزى المقامى.
- ١٢- شرح الفوائد ج ١ - الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائى.
- ١٣- من هدى القرآن - السيد محمد تقى المدرسي.
- ١٤- إحقاق الحق - الحاج ميرزا موسى الأحقاقي الأسكوئي.
- ١٥- نجاة الهاكين - الشيخ محمد بو خمسين.
- ١٦- مدخل إلى فلسفة الشيخ الإحسائى الميرزا حسن فيوضات.
- ١٧- أصول الكافي للكليني (محمد بن يعقوب الرازى).
- ١٨- أصول الدين - للسيد عبدالحسين دستغيب.
- ١٩- رسائل الشيخ - للشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الإحسائى.
- ٢٠- مجمع البيان في تفسير القرآن - للشيخ الطبرسى.
- ٢١- أصول الدين - للسيد عبدالحسين دستغيب.
- ٢٢- رسائل الشيخ - للشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الإحسائى.
- ٢٣- النور المبين في فضائل الموصومين - المولى الميرزا عبدالله الحائرى الأحقاقي.
- ٢٤- أخبار عيون الرضا عليه السلام - للشيخ الصدوق - ج ١ - ص ٢٧٤.
- ٢٥- حياة النفس - للشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائى.
- ٢٦- أصول العقائد - للسيد كاظم الرشتي الحسيني.
- ٢٧- جوامع الكلم - الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائى.

- ٢٨- بصائر الدرجات - للشيخ محمد الصفار.
- ٢٩- توضيح الواضحت - الحاج ميرزا عبدالرسول الأحقافي  
الحائري.
- ٣٠- رسالة عبدالله بيك - السيد كاظم الحسيني الرشتى.
- ٣١- أسرار الشهادة - السيد كاظم الحسيني الرشتى.
- ٣٢- مشارق أنوار اليقين - الحافظ رجب البرسي.
- ٣٣- فكر ومنهج - الشيخ عبدالجليل الأمير.
- ٣٤- دروس في العقيدة (حوزة النورين النيريين أمير المؤمنين  
والزهراء عليهما السلام) - الحاج ميرزا عبدالرسول الأحقافي  
الحائري.

